

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هــذا الزمن الذى طغت فيــه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهــذا النــوع من الحب .. نحتــاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب.

المؤلف

١ ـ فى عينيك سعادتى ..

جلس (صلاح) فى قاعة الانتظار بالمستشفى ، وهو يراقب فى قلق وتوتر مغادرة الطبيب للحجرة ، التى تنزل فيها ابنة خالته (نهى) ، وما إن رآه يغادر الغرفة ، حتى اندفع نحوه فى لهفة ، قائلًا :

ـ هيه يا دكتور .. هل تحسّنت حالتها ؟

هزّ الطبيب رأسه ، قائلًا :

ـ نعم .. حالتها مطمئنة الآن .

ارتسمت ملامح الارتياح على وجه (صلاح)، وهو يقول:

ـ حمدًا لله .. إذن تستطيع أن تغادر المستشفى معى الآن ؟

رد عليه الطبيب ، قائلًا :

ـ بالطبع .. ولكن أريد منك أن تأتى معى إلى حجرتى أوّلًا.

سار (صلاح) معه ، حتى وصلا إلى حجرة الطبيب ، الذى دعاه إلى الدخول ، والجلوس أمام مكتبه ، قائلًا :

ـ أنت تعرف طبعًا الظروف النفسية السيئة ، التى أدت

بابنة خالتك إلى حالة الانهيار العصبى ، التى استدعت دخولها المستشفى ، وعلى الرغم من أنها اجتازت الأزمة ، وأصبحت حالتها مطمئنة من الناحية الطبية ، إلا أننى لا أخفى عليك .. هناك احتمال كبير أن تعاودها الأزمة مرة أخرى ، إذا لم تلق العناية الواجبة منكم .

(صلاح) :

ـ وما الذى تشير علينا به ؟

(الطبيب) :

ـ (نهى) قد تمر بحالة اكتئاب شديدة ، بعد خروجها من المستشفى ، وهذه الحالة قد تنقلب إذا لم يتم التغلب عليها ، إلى أزمة نفسية مستحكمة ، ربما أدت بها إلى انهيار عصبى آخر ، لذا يتعين عليك وعلى المحيطين بها مراعاة حالتها هذه ، حتى لا تستسلم لحالة الاكتئاب ، إذا ما تعرضت لها ، وهذا يتطلب إحاطتها بجو من الحب والحنان ، والدفء الذى افتقدته بوفاة أمها ، بعد أن رحل عنها أبوها ، منذ بضعة أشهر قليلة ، لقد كان أبوها وأمها هما كل حياتها ، وبفقدهما أصبحت تحس بحالة طاغية من الوحدة ، وتجسمت لديها مرارة اليتم ، فإسرافهما البالغ فى عواطفهما تجاهها ، بالإضافة إلى تعلقها الشديد بهما ، جعلها تسرف هى الأخرى فى حزنها عليهما ، والذى ازداد

بوفاة الأم ، فأخذت تتصور أن الحياة لم يعد لها معنى بعد رحيلهما ، حتى أنها بدأت تشعر بفقدان الرغبة فى الحياة أحيانًا .

ويتعين عليك أن تجتهد فى جعلها تتشبث بالحياة مرة أخرى ، وتتخلص من مرارة الشعور بالوحدة واليتم الذى تملكها .. هذا دورك ودور والدتك ، ودور كل المحيطين بها ، حتى يكتمل شفاؤها تمامًا .

(صلاح) :

ـ تأكد أننى سأعمل على تنفيذ ذلك يا دكتور ، وسنبذل قصارى جهدنا لتمام شفائها ، إنها قريبة جدًا من قلبى ، ووالدتى تعدها بمثابة ابنتها .

(الطبيب) :

ـ إنها ستعيش فى منزل والدتك .. أليس كذلك ؟

(صلاح) :

بلى .. فلم يعد لها أقارب سوانا ، وحتى لو كان لها فنحن أحق الناس بها وبرعايتها .

(الطبيب) :

ـ حسن .. يمكنك أن تصحبها إلى المنزل الآن ، ولاتنس ما قلته لك .

نهض (صلاح) ليصافح الطبيب ، قائلًا :

- حتى لو لم تقله يا دكتور .. (نهى) ستكون فى أعيننا ، وسنتولاها بكل رعاية وعناية .

غادر (صلاح) غرفة الطبيب ليسير فى الممر المؤدى إلى غرفة (نهى) ، وقد تزاحمت فى مخيلته صور عديدة متلاحقة .

صورة من صباه ، وهو يداعب ابنة خالته ، وهى بعد طفلة صغيرة ، على شواطئ (الإسكندرية) ، وشقاوتها اللذيذة معه ، وهى تلقى فوق رأسه بدلو الماء ، ثم تفر هاربة ..

تذكر كيف كانت هذه الطفلة متعلقة به بشدة ، فى مرحلة الطفولة والصبا ، وكيف كانت لا تفارقه كلما حضر إلى (الإسكندرية) برفقة والدته ، لزيارة خالته ، وهى الأخرى كانت لها منزلة خاصة لديه ، فأحيانًا كان ينظر إليها على أنها بمثابة الأخت المقربة إليه ، وأحيانًا أخرى كان يشعر بشىء من العاطفة المضطربة المترددة ، التى تتجاوز الشعور الأخوى تجاهها ، خاصة عندما كان يرى تلك النظرة الحالمة فى عينيها ، وهى تنظر إليه ، وتلك اللمسة الحانية ، كلما تعلقت بيده أو بذراعه ، ولكنه سرعان ما كان ينفض عن نفسه هذا الشعور ، بل ويلوم نفسه عليه ، إذ كان يحس دائمًا أنه يتعين عليه أن

يعاملها على أنها بمثابة أخت صغرى له ، وأن يحيطها باهتمامه على هذا الأساس ..

ومرت بمخيلته أيضًا صورتها وهى تنتحب ، وتدفع برأسها إلى الحائط ، إثر وفاة والدتها ، وتلك الحالة التشنجية التى تملكتها ، والتى انتهت بإدخالها المستشفى ، لكى تعالج من الانهيار العصبى الذى لحق بها .. تذكر مدى حزنه وألمه ، وهو يراها فى هذه الحالة ، وإحساسه بالذنب ، لعجزه عن مساعدتها .. لقد بكت والدته كثيرًا ، وهى تراها على هذا النحو ، وتحاول أن تهدئ من ثائرتها ، أما هو فقد وقف عاجزًا ، وكأن حواسه كلها قد شلت ، فى حين يتمزق قلبه من الداخل ، لرؤيته لها على هذا النحو .. لقد صدمه أن يرى (نهى) فى هذه الصورة المؤلمة ، حتى أن حزنه من أجلها قد أنساه حزنه على وفاة خالته .

فتح (صلاح) باب الحجرة ، ليجدها جالسة على حافة الفراش ، وهى تحدق فى النافذة المفتوحة بنظرة شاردة ، لا تنم عن أى معنى أو إحساس ، واقترب منها هامسًا وهو يبتسم :

- صباح الخير يا (نهى) .

صمتت لبرهة ، دون أن ترد تحيته ، ثم قالت وهى

مازالت تحدق عبر النافذة المفتوحة :

ـ لقد تأخرت اليوم فى الحضور .

أجابها قائلا :

ـ أبدا يا (نهى) .. لقد حضرت مبكرا ، وفى موعدى تمامًا ، ولكننى انتظرت حتى ينتهى الدكتور من فحصك ، ثم تحدثت إليه بعض الوقت ، قبل أن أحضر إليك .

سألته قائلة ، وهى مستمرة فى نظرتها الشاردة ، دون أن تلتفت إليه :

ـ ماذا قال لك عنى ؟

جلس (صلاح) إلى جوارها ، قائلًا بحنان :

ـ لقد طمأننى تمامًا عليك ، وأخبرنى أنك تحسنت كثيرًا .

التفتت إليه فى انفعال ، قائلة :

ـ ترى من منكما الكاذب ؟ أنت أم هو ؟

قال محتفظًا بنبرات صوته الهادئة الحنون :

ـ وما الذى يدعو أحدنا إلى الكذب ؟ .. لقد شفيت بالفعل .. والدليل على ذلك أنه وافق على أن تغادرى المستشفى ، وقد جئت الآن لآخذك معى إلى المنزل .

قالت وقد تبدلت ملامحها ، فأصبحت تنظر إليه فى ضعف ووهن :

ـ ولكننى أشعر بأننى مازلت مريضة .

قال مطمئنا ، وهو يحيط كتفها بساعده :

ـ من قال هذا ؟ إنك لا تشعرين بأى مرض .. كل ما هنالك أنك قد مررت بأزمة نفسية ، نتيجة لحزنك على وفاة خالتى ، وها هى ذى الأزمة قد انتهت على خير ، وستعودين معى إلى المنزل ، حيث تتلهف والدتى على رؤيتك .

تدفقت الدموع من عينيها ، قائلة بصوت خفيض يقطر حزنًا :

ـ ولكنها لن تعود .. أمى لن تعود .. لقد رحلت عنى إلى الأبد ، كما فعل أبى من قبل ..

لقد تركانى ورحلا .. لماذا تركانى فى هذه الدنيا ، وجاء رحيلهما مفاجئًا هكذا دون مقدمات ؟

شدد (صلاح) من قبضته على كتفها ، وهو يضمها إلى صدره قائلًا :

ـ هذا كلام لا يصح أن يصدر عن فتاة تؤمن بقضاء الله وقدره .. إنها سنة الحياة يا (نهى) .. نجىء إلى هذه الدنيا ونرحل وفقًا لإرادة الخالق سبحانه وتعالى .. وعلينا جميعًا أن نمتثل لمشيئته .

ارتفع نحيبها ، وهى تقول :

ـ أعرف ذلك .. ولكننى لا أقوى على تحمله .. كلما

تذكرت أننى لن أرى أمى مرة أخرى ، أشعر بأن حزنى أقوى منى ، وبأننى عاجزة عن تحمله .

(صلاح) :

ـ ستقدرين .. (نهى) التى أعرفها أقوى من أن تستسلم لأحزانها على هذا النحو .. لقد فقدت والدك ووالدتك ، ولكن تنسين أن لك أمًا أخرى وأبًا آخر يحبانك ، يسعدان لإسعادك ، ويتألمان لآلامك .

تطلعت إليه (نهى) من خلال دموعها ، وقد تعلقت عيناها بعينيه ، فى حين قال لها بصوته الهامس الحنون :

ـ نعم يا (نهى) .. أنت تعرفين مدى ما تكنه لك أمى من حب ، وأنها تعدك بمثابة ابنتها ، أما أنا فسأكون لك أبًا وأخًا وصديقًا ، وكل شىء تريدينه .. هيا .. هيا يا (نهى) نذهب إلى المنزل .

وساعدها فى جمع حاجياتها ، ثم صحبها إلى خارج المستشفى ، حيث استقبلتها خالتها بكل ود وحنان ..

ومضت الأيام التالية ، وهى تضاعف من حنانها وحبها ، فى محاولة منها لاحتواء أحزانها ، وكذلك بذل (صلاح) أقصى جهده لمساعدتها على النسيان ، وإدخال البهجة والسرور إلى نفسها .

وكانت (نهى) تتجاوب معهما من آن لآخر ، لكنها

سرعان ما كانت تستسلم لنوبات الحزن والاكتئاب التى تتملكها ، كلما تجذنت لديها الذكرى ، وعاودها الحنين لأمها الراحلة .

وبعد مرور ثلاثة أسابيع ، بدا أنها قد بدأت تمارس حياتها بصورة طبيعية ، وفى إحدى الليالى عاد (صلاح) من الخارج ، حيث استقبلته أمه قائلة :

ـ لماذا تأخرت كل هذا الوقت يا (صلاح) ؟

(صلاح) :

ـ لقد امتدت بنا السهرة ، أنا و (حسين) و (مدحت) ، وأنت تعرفين أننى لم ألتق بهما منذ حضرت (نهى) إلى منزلنا .. بالمناسبة أين هى ؟

أجابته الأم قائلة :

ـ فى غرفتها .

(صلاح) :

ـ هل تناولت عشاءها ؟

قالت الأم :

ـ أبدًا .. لقد حاولت معها كثيرًا ، ولكنها أبت أن تتناول العشاء ، كما يبدو أن حالة الاكتئاب قد عاودتها ، وهذا ما جعلنى أنتظر حضورك بفارغ الصبر ، فتأثيرك عليها أقوى منى .

أطلق (صلاح) زفرة قصيرة ، ثم قال :
- حسن .. سأذهب إليها .
طرق الباب عدة طرقات ، قائلًا :
- (نهى) .. هل أستطيع أن أدخل ؟
ولكنه لم يتلق منها إجابة ، فبادر بفتح الباب ، حيث وجدها منكمشة حول نفسها فوق الفراش ، وفى عينيها نظرة حزينة ، ودنا منها قائلًا :
- مساء الخير يا (نهى) .
ولكنه لم يتلق إجابة أيضًا ، فبادر إلى الجلوس على المقعد المواجه لفراشها ، قائلًا :
- لماذا لم تتناولى العشاء حتى الآن ؟
تحوّلت إليه وفى عينيها نظرة تنم عن غضب مكبوت ، قائلة :
- أين كنت حتى الآن ؟
(صلاح) :
- لابد أن أمى قد أخبرتك .. لقد كنت أسهر مع مجموعة من أصدقائى .
(نهى) :
- ولماذا لم تخبرنى بذلك ؟
بدت عليه الحيرة ، وهو لا يدرى ماذا يقول لها ، ثم ما لبث أن هز كتفيه باستخفاف قائلًا :

- لم أجد أنه هناك ما يدعو إلى إخبارك بذلك .
ازدادت نظرة الحزن وضوحًا فى عينيها ، وهى تقول :
- بالطبع .. ليس هناك ما يدعوك إلى إخبارى ، فماذا أكون أنا بالنسبة لك ، حتى تخبرنى بأمورك الشخصية .
ترك (صلاح) مقعده ، ليجلس إلى جوارها ، قائلًا :
- (نهى) .. ليس هناك ما يدعو إلى أن تغضبى منى بسبب شىء كهذا .
(نهى) :
- ولكننى لست غاضبة .
ابتسم قائلًا ، وهو يحاول مداعبتها :
- ولكن ما أراه فى عينيك يقول غير ذلك .
نظرت إليه بعينيها الحزينتين ، قائلة :
- كنت أعتقد أننى أكثر أهمية بالنسبة لك من هذا .
(صلاح) :
- إنك تهميننى بالفعل ، وأنت تعرفين ذلك جيدًا ، ولكن هذا لا يعنى أنه لابد أن أخبرك بكل خطوة أخطوها خارج المنزل ، والوقت الذى سأقضيه فى سهرة مفتوحة مع أصدقائى ، خاصة وقد أخبرت أمى ، وظننت أنها لابد قد أخبرتك .
قالت وفى صوتها نبرة احتجاج :

ـ هل رأيت ؟ لقد اهتممت بإخبار خالتى أنك ستسهر فى الخارج مع أصدقائك ، دون أن تهتم بإخبارى ، ودون أن تكترث بى ؛ لأننى لا أمثل لك شيئًا ذا قيمة .

(صلاح) :

ـ حسن .. سأخبرك بعد ذلك إذا ما اضطرتنى الظروف للتأخر فى الخارج .

تبدّلت لهجتها ، لتبدو أكثر حنانًا ، وهى تقول :

ـ (صلاح) .. يجب أن تعرف أننى أقلق عليك ، ولا حيلة لى فى ذلك .

ابتسم (صلاح) قائلًا :

ـ لقد كنت أظن أننى سأقوم معك بدور الأب .. ولكن أنت تمارسين معى دور الأم ، ولو أن أمى لا تقلق علىّ وتحاسبنى على تأخيرى فى الخارج ، على هذا النحو الذى تفعلينه معى .

(نهى) :

ـ إذا كان هذا يضايقك فأنا آسفة ، ولن أحاول إظهار قلقى واهتمامى بك مرة أخرى .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ كلا إنه لا يضايقنى على الإطلاق .. ومن ذا الذى يتبرم من اهتمام فتاة جميلة مثلك به ؟

تحوّلت إليه بنظراتها ، وقد بدا أن الكلمة الأخيرة قد حركت شيئًا فى مشاعرها ، وقالت :

ـ حقًّا يا (صلاح) ؟ .. هل ترانى جميلة ؟

قال مستغربًا :

ـ وهل كنت تشكين فى ذلك ؟

(نهى) :

ـ هل تقول ذلك لأننى ابنة خالتك ، ولأنك تسعى لتبديد أحزانى ؟

(صلاح) :

ـ أوّلًا : لم يعد هناك مجال للأحزان ؛ فقد تجاوزناها وتغلبنا عليها ، وانتِ نفسك وافقتنى على ذلك منذ يومين ، عندما خرجنا إلى مدينة الملاهى .

ثانيًا : ليس لكونك ابنة خالتى أية علاقة لوصفك بالجمال ، فهذه حقيقة لا تحتاج إلى مجاملة ، وتستطيعين أن تسألى أى شخص عن ذلك ليقرّرها لك بنفسه ، ولو أنى لا أنصحك بذلك ، وإلا عاملتك بكل قسوة وشدة ، فأنا أغار عليك .

انفرجت أساريرها فجأة ، وهى تنظر إليه وفى عينيها مزيج من الدهشة والفرح ، قائلة :

ـ أهذا أيضًا حقيقىّ يا (صلاح)؟ .. هل تغار علىّ ؟

تطلع إليها (صلاح) ، وفى عينيه شىء من الحيرة والاضطراب ، دون أن يجيبها ، ثم ما لبث أن قال ، محاولًا تغيير الموضوع :

ـ ما هذا ؟ .. هل سنظل نتحدث هنا ، دون أن نتناول طعامنا .. هيا .. هيا لنتناول العشاء معًا .

قفزت من الفراش جذلة ، قائلة :

ـ إذن ستتناول العشاء معى .. لم تطاوعك نفسك على أن تتناوله مع أصدقائك بالخارج دونى .. أليس كذلك ؟

وقف مضطربًا ، لا يدرى بم يجيبها .. ففى الواقع أنه تناول العشاء مع أصدقائه ، قبل أن يأتى إلى المنزل ، ولكنه أراد أن يجاملها ، حتى تتناول العشاء الذى رفضته ، وإزاء سعادتها الطفولية بتلك المجاملة ، لم يعد أمامه مجال للتراجع ، وأصبح من المتعين عليه أن يشاركها العشاء ، فصحبها إلى خارج الغرفة ، قائلًا :

ـ نعم .. فقد تعودت على تناول عشائى معك .. وعلى وجودك أمامى على المائدة .

وكانت فى رأيه مجرد كذبة ..

كذبة بيضاء .

★ ★ ★

٢ ـ الحائر ..

كانت (نهى) سعيدة باصطحاب (صلاح) لها إلى السينما ، وعندما انتهى الفيلم غادرت دار العرض وهى متعلقة بذراعه كطفلة صغيرة ، وسألته قائلة ، وهو يعبر الطريق :

ـ أين تذهب ؟

(صلاح) :

ـ سنستقل السيارة ونعود إلى المنزل .

قالت ترجوه بدلال :

ـ مازال الوقت مبكرًا .. دعنا نسر معًا قليلًا .

(صلاح) :

ـ حسن .. إذا كان لابد من التمشية ، فلنستقل سيارتى أولًا ، ونذهب بالقرب من الكورنيش ، إنها تمشيتى المفضلة .

وتوقف بسيارته بمحاذاة رصيف الكورنيش ، حيث غادرها وبصحبته (نهى) ، ليقطعا الطريق على قدميهما .

وقالت (نهى) ، وهى تتأمل منظر النيل :

ـ معك حق .. السير هنا ممتع .. إنـه يذكرنـى بالكورنيش فى (الإسكندرية) ، حيث كنت أصحب أمى ...

توقفت فجأة عن مواصلة السير والكلام ، عندما جاء ذكر أمها .

لاحظ (صلاح) ذلك ، فبادرها قائلًا :

ـ فلنتوقف عن الذكريات ..

ثم أبدل الحديث ، وهو يلف ساعده حول كتفها النحيل ، قائلًا :

ـ قولى لى : هل أعجبك الفيلم ؟

أجابته وهى تحاول إبعاد تلك النبرة الحزينة عن صوتها :

ـ كان فيلمًا جيدًا ، ولو أنـى كنت أفضل فيلمـا رومانسيًا .

(صلاح) :

ـ لقد فكرت أن فيلمًا كوميديًا سيكون الأنسب ، لـ ...

بتر جملته ، ولكنها أكملتها له قائلة :

ـ لحالتى النفسية .. أليس كذلك ؟

بادر بمعالجة الأمر مرة أخرى ، قائلًا :

ـ لقد مررنا جميعًا فى الفترة الأخيرة بشىء من الضغط العصبى ، وليس هنا ما يمنع من البحث عن شىء من

المرح ، مثل مشاهدة بعض الأفلام الكوميدية ، ثم إن الأفلام الرومانسية تميل إلى المبالغة .

(نهى) :

ـ فيما يتعلق بالمشاعر والعواطف ، لا يمكنك أن تتحدث عن المبالغة .

(صلاح) :

ـ هل تعنين أنه يمكن أن نجد فى الواقع ، أحداثًا شبيهة بتلك التى وردت فى فيلم (لقاء فى الغروب) ؟

(نهى) :

ـ بل قد يوجد فى الواقع ما هو أكثر تجاوزًا وأشد غرابة ، مما شاهدته فى ذلك الفيلم .

ابتسم قائلًا :

ـ يبدو أنك رومانسية .

نظرت إليه قائلة :

ـ وهل ترى فى ذلك عيبًا أم ميزة بالنسبة لى ؟

(صلاح) :

ـ الرومانسيون أشخاص رقيقو الحس ، مرهفو المشاعر ، وهذا ما يجعلهم متميزين ، ولكنهم عرضة أكثر من غيرهم للمتـاعب النفسيـة والآلام ؛ بسبب حساسيتهم المفرطة ، فكلنا نحب ونكره ونحزن ونسعد ،

باعتبارنا بشرًا ، لنا أهواؤنا ومشاعرنا ، أما الشخص الرومانسى فعيبه الوحيد أنه متطرف فى مشاعره وأحاسيسه ، وهذا ما يجعله يبالغ فى أحزانه ، ويجسم عواطفه ، مثلما حدث فى عاطفتك المفرطة تجاه أبويك ، وتلك الآلام التى تعرضت لها عقب رحيلهما ، والتى أدت بك إلى دخول المستشفى .

ابتسمت ابتسامة اغتصبتها على شفتيها ، وهى تقول :

- ألم نتفق على أننا سنتوقف عن حديث الذكريات ؟

ابتسم بدوره قائلا :

- معك حق .

(نهى) :

- ولكنك نسيت أن الرومانسيين أيضا لهم ميزتهم ؛ فبسبب عواطفهم المتطرفة يمكنهم أن يحيطوا من يحبونه بحب وحنان ، لا يمكن أن يعرفه مع الآخرين .

(صلاح) :

- إننى أتفق معك فى ذلك ، فالمرء يحب دائما أن يحاط بالكثير من الحب والحنان والاهتمام ، الذى توفره له تلك العاطفة المتطرفة ، ولكن كلما زاد شىء عن الحد ، انقلب إلى الضد .

(نهى) :

- إلا فى الحب ؛ فالمرء بحاجة دائمة إلى المزيد من عواطف وأحاسيس محبيه .. بحاجة لأن يراها ماثلة أمامه دائما .

(صلاح) :

- ولكن هذا النوع من الحب المتطرف قد يكون خانقًا فى بعض الأحيان لأحد الحبيبين .

رنت إليه بنظرة ذات دلالة ، وهى تقول :

- لو أننى مثلًا وجدت نفسى أحبك حبًا كبيرًا ، فهل ستعتبر ذلك الحب خانقًا لك .

شعر بشىء من الارتباك ، إزاء هذا التلميح الواضح ، ولكنها أنقذته من حرجه ، قائلة :

- هل تذكر يا (صلاح) عندما كنا أطفالًا صغارًا ؟ هل تذكر الأوقات السعيدة التى كنا نقضيها على رمال شواطىء (الإسكندرية) ؟

ابتسم قائلًا :

- نعم .. وأذكر أيضًا دلو الماء ، الذى كنت تلقينه فوق رأسى من الخلف بغتة ، ثم تفرين هاربة .

ضحكت قائلة :

- أنت تعرف أننى كنت أحب مداعبتك ، ثم إننى كنت أرد

بذلك على مضايقتك لى ، عندما كنت تتعمد هدم البيوت الرملية ، التى كنت أقيمها فوق الشاطئ .

نظر صلاح إلى النهر الممتد أمامه ، قائلا :

ـ كانت ذكريات سعيدة .

قالت (نهى) ، وهى تتطلع إلى النيل بدورها :

ـ نعم وكان أجمل ما فيها أن المرء كان يستطيع أن يفعل ويقول كل ما يحلو له ، دون خوف أو حرج ، كما هو الحال الآن .

التفت إليها (صلاح) مداعبا ، وهو يقول :

ـ لعلك لا تفكرين فى إلقاء دلو آخر من الماء فوق رأسى .

ولكنها قالت بطريقة جادة ، وهى تنظر إليه نظرة ساهمة :

ـ هل تذكر يا (صلاح) كيف كنت أبكى وأنتحب ، حينما تنتهى العطلة ويحين موعد رحيلك إلى (القاهرة) ؟

(صلاح) :

ـ نعم .. وكنت أضطر إزاء بكائك المستمر هذا ، أن أنفق كل مصروفى فى إحضار بعض الحلوى لك ، حتى تتوقفين عن البكاء . وأحيانا كنت أضطر مرغما للبقاء يوما أو يومين آخرين ، عل الرغم من اقتراب موعد الدراسة ،

ولكن حينما يحين موعد الرحيل ، تعودين إلى البكاء مرة أخرى .

تأملته قائلة :

ـ كنت حنونا دائما يا (صلاح) .

(صلاح) :

ـ ألست ابنة خالتى ؟

(نهى) :

ـ هل حنانك هذا سببه أننى ابنة خالتك فقط ؟

عاد صلاح للارتباك مرة أخرى ، ولكنه قال :

ـ أنت تعرفين جيدا مدى حبى لك يا (نهى) .

قال بصوت متلهف :

ـ حقًا يا (صلاح) .. أتحبنى حقًا ؟

مسح صلاح بيده على جبهته ، قائلًا :

ـ كأختى طبعًا .. فلقد تربينا معًا .

تقلّصت ملامحها ، وقد بدا أن ما قاله قد أغضبها ، فأشاحت بوجهها عنه ، وواصلت السير وقد تركته واقفًا وحده ، واندفع ليمسك ذراعها ، قائلًا :

ـ هل قلت شيئًا أغضبك ؟

قالت وفى صوتها شىء من الاحتجاج والتردّد :

ما أغضبنى هو ما لم تقله .

(صلاح) :
- وما الذى كنت تريدين منى أن أقوله ؟
همّت بأن تقول شيئا ما ، ولكنها توقفت عن الكلام ، وهى تهز رأسها ، قائلة :
- لا .. لاشىء .. لاشىء .
بدا أن (صلاح) قد أدرك ما تريد منه قوله ، ولكنه لم يجد ما يستطيع أن يرد به عليها ، فحتى هذه اللحظة لم تكن مشاعره تجاهها تتجاوز مشاعر الود والأخوة ، وقال لها متجاهلا الموضوع برمته :
- أعتقد أنه يتعين علينا أن نعود إلى السيارة الآن .
قالت ، وهى تستدير عائدة :
- معك حق .. حتى لا يظن من يرانا أننا متحابان .
وعندما استقر إلى جوارها فى السيارة ، حانت منه التفاتة إلى وجهها الغاضب ، قبل أن يدير المحرك متابعا طريقه ، وابتسم وهو ينظر إليها مجددًا ، قائلا :
- إنك جميلة فى كل الحالات ، حتى وأنت غاضبة .
ولكنها حدجته بنظرة معاتبة ، ثم عادت تنظر إلى الطريق أمامها ، وسألها والابتسامة مازالت مرتسمة على وجهه :
- لو أعلم فقط لماذا أنت غاضبة هكذا ؟

قالت دون أن تنظر إليه :
- ومن قال لك إننى غاضبة ؟
قال وقد اتسعت ابتسامته :
- لا تنسى أن الرومانسيين لا يستطيعون إخفاء مشاعرهم ، فهى تبدو واضحة على وجوههم .
رنت إليه بنفس تلك النظرة المعاتبة ، قائلة :
- وهل الاحساس بالغضب هو فقط كل ما استطعت أن تراه واضحا على وجهى ؟
(صلاح) :
- لست أفهم ماذا تعنين ؟
(نهى) :
- مادمت تقول إن الرومانسيين تبدو مشاعرهم واضحة على وجوههم ، فلابد أنك قد فهمت ماذا أعنى .
كانت السيارة قد وصلت بهما إلى باب المنزل ، فأوقف محركها ، وملامح الحيرة ترتسم على وجهه ، فى حين كانت هى تتفحصه بنظراتها ، والتفت إليها دون أن يفتح باب السيارة ، قائلا :
- (نهى) ..
انتظرت منه أن يقول شيئا ، ولكنه ظل مترددا ، ثم ما لبث أن تلعثم في كلماته ، قائلا :
- إننى أريد أن أقول .. أعنى أننى أريد أن أوضح ..

ولكنها قاطعته بغضب :

ـ لا تقل شيئًا ولا توضح شيئـًا .. من الـواضح أن الإحساس الموجود لدى لا يجد صدى لديك .

(صلاح) :

ـ ليس هذا هو ما أعنيه على وجه التحديد ، ولكن ...

ولكنها هزت رأسها بعنف ، وهى تفتح باب السيارة مقاطعة :

ـ أرجوك يا (صلاح) .. لا تحاول أن تبحث عن كلمات مناسبة ، ولا تحرجنى أكثر من هذا . فقد قاومت خجلى ، وتحاملت على كرامتى ؛ لكى أنقل إليك إحساسى ، ولكننى لن أقبل أن أفرضه عليك بأى حال من الأحوال .

وسرعان ما فتحت باب السيارة ، وأسرعت تغادرها وهى تركض فى اتجاه باب المنزل ، فى حين بقى (صلاح) جالسًا فى مكانه ، أمام عجلة القيادة لبرهة من الوقت ، وقد تملكته حالة من الحيرة والضيق ، وعندما عاد إلى المنزل استقبلته أمه قائلة :

ـ ماذا حدث يابنى ؟ .. لماذا تبدو (نهى) متكدرة هكذا ؟

قال (صلاح) ، وآثار الحيرة مازالت واضحة على وجهه :

ـ لا أدرى ماذا أقول لك يا أمى .. لقد دأبت (نهى) فى الفترة الأخيرة على التلميح لى ببعض المشاعر العاطفية ، ويبدو أن اهتمامى الزائد بها ، منذ خروجها من المستشفى ، ومحاولتى مساعدتها على التغلب على أزمتها النفسية ، هو الذى حرك لديها هذه المشاعر الوهمية ، وجعلها تعتقد أنها تحبنى .

قالت الأم ، وهى تقترب منه هامسة :

ـ ولماذا تسميها مشاعر وهمية ؟ .. أنت تعرف أن (نهى) متعلقة بك منذ الصغر ، وأنت أيضًا كنت شديد التعلق بها ، وكنا دائمًا نردد أنا والمرحومة خالتك ، أن كلًا منكما لن يكون إلا للآخر ، وأنا نفسى حدثتك عن ذلك كثيرًا قبل وفاة خالتك ، ولكنك كنت تتهرب دائمًا من إعطائى ردًا حاسمًا ، على الرغم من أنك لم ترفض الفكرة تمامًا .

استرخى (صلاح) فوق مقعده ، قائلًا :

ـ ومازلت عاجزًا عن الرد يا أمى .. هناك شىء يربط بينى وبين (نهى) لا أنكره ، ولكنه لا يمكن أن يكون حبًا ، فالحب له مظاهر أخرى ، ولو كان حبًا حقيقيًا لأحسسته ، ولما شعرت بكل هذه الأحاسيس المضطربة الحائرة .

قالت الأم :

ـ الاضطراب والحيرة دليل على أنك لم تحسم الأمر مع

مشاعرك تمامًا ، وهذا يعنى أن قلبك لم يغلق الباب فى وجه (نهى) تمامًا .. لماذا لا تمنحها وتمنح نفسك فرصة ، ربما عرف حبها طريقه إلى قلبك ؟ .. ليتها تصبح من نصيبك يا (صلاح) ، فطالما تمنيت ذلك أنا والمرحومة خالتك .. (نهى) فتاة طيبة للغاية ، وتتمتع بالكثير من المزايا ، وبغض النظر عن كونها ابنة أختى وبمثابة ابنتى ، فأنا لا أجد لك فتاة أفضل منها ، فضلًا عن أنها تحبك حقيقة .

قال (صلاح) ، ومشاعر الحيرة مازالت واضحة فى صوته :

- مازلت غير واثق من حقيقة هذا الحب ، وغير قادر على الحكم على حقيقة مشاعرى ومشاعرها .

عادت تقول :

- قلت لك : امنحها وامنح نفسك فرصة للتأكد من ذلك .

(صلاح) :

- هذا يعنى أن أتجاوب معها ، وأن أبادلها أو أتظاهر بمبادلتها بعض مشاعرها .. أليس كذلك ؟ .. ولكن ماذا ستكون النتيجة ، لو تأكدت فى النهاية من أنى لا أبادلها مشاعرها ، وكانت هى قد تمادت فى عاطفتها ؟ ... هنا تكمن المشكلة يا أمى .

سألته الأم قائلة :

- أية مشكلة .. فى هذه الحالة سيتعين على كل منكما أن يختار طريقه .

هز رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا يا أمى .. ليس بالنسبة لها .. (نهى) فتاة حساسة للغاية ، وأنت تعرفين ذلك أكثر منى ، وتعلقها الزائد بى ، وتشجيعى لها على التمادى فى عواطفها نحوى ، من الممكن أن ينقلب فى النهاية إلى صدمة جديدة ، لو رفضت هذا الحب ، وأعلنت لها اعتذارى عنه .

ونظر إلى أمه مليًا ، قائلًا :

- هل فهمتينى يا أمى ؟

تطلعت إليه الأم بقلق ، وقد بدأت تحس بجسامة الموقف ، قائلة :

- نعم .. أفهمك يا بنى .. هذا من الممكن أن يلحق ضررًا بالغًا بـ (نهى) ، مع حالتها النفسية التى تمر بها الآن .

(صلاح) :

- وسواء كنت أحب (نهى) أو لا أحبها ، فإن لها دائمًا مكان فى قلبى ، وأشعر بإعزاز بالغ لها ، يجعلنى لا أتصور للحظة واحدة أن أكون مصدر تعاسة وألم بالنسبة لها ، وهذا ما يجعلنى أخاف من التجاوب مع

مشاعرها ، وأخشى حتى أن أمنح نفسى فرصة لمثل هذا التجاوب ، حتى لا تكون النتيجة فى النهاية على حساب أحدنا ، فلو وجدت نفسى عاجزًا عن حبها حبًا حقيقيًا ، فى حين اندفعت هى فى اتجاه هذا الحب ، فالأمر سينتهى بأحد أمرين ، إما أن أصرح لها بذلك ، فأصدمها .. صدمة قد تقضى عليها فى النهاية ، أو أخفى مشاعرى هذه وأتزوجها ، على الرغم من عدم وجود هذا الحب ، فأظلم نفسى وأظلمها معى .

قالت الأم مطرقة :

- معك حق يا بنى .

وعاد (صلاح) يقول :

- المشكلة أيضا هى أن تجاهلى لمشاعرها يجرحها ، وأخشى أن يؤدى هذا إلى التأثير على حالتها النفسية المضطربة ، خاصة وقد نصحنى الطبيب المعالج بمراعاة حالتها هذه مراعاة تامة ، والحيلولة بينها وبين التعرض لما يمكن أن يؤثر على مشاعرها .

نظرت إليه الأم قائلة بحسم :

- يجب أن تسافر يا (صلاح) ، وبأسرع وقت ، فهذا هو الحل الوحيد قبل أن يستفحل الأمر .

سافر يا (صلاح) .. سافر .

★ ★ ★

٣ - سأحبك دائمًا ..

كانت (نهى) مستغرقة فى قراءة الرواية التى بين يديها ، عندما أحست بملمس زهرة القرنفل تداعب وجنتيها ، فالتفتت على الفور ، وهى تهتف باسمه قائلة :

- (صلاح) :

ابتسم لها قائلا :

- أمازلت غاضبة منى ؟

سرعان ما ابتلعت لهفتها وهى تقول :

- لماذا لم تخبرنى أنك ستعود إلى عملك اليوم ؟

(صلاح) :

- ظننت أنك تعرفين .. لقد انتهت إجازتى أمس ، وأعتقد أن ابتعادى عن العمل لعشرين يومًا كاملة .. تعد فترة كافية للغاية .

قالت وكأنها تعتذر :

- لقد أضعتها كلها فى مرافقتى ، ومحاولة التخفيف عنى ، ومساعدتى على التغلب على حالتى النفسية .

ابتسم لها قائلا ، وهو يدنو منها :

ـ ولماذا تقولين إنها ضاعت ؟ .. على العكس .. لقد كانت إجازة ممتعة للغاية ، فمن ذا الذى لا يستمتع بإجازة يقضيها برفقة حسناء مثلك .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، قائلة :

ـ يا لك من مجامل ! .. ثم تطلعت إليه بنظرة تنم عن عاطفة متدفقة ، مستطردة :

ـ وابن خالة طيب .

سادت بينهما برهة من الصمت ، قبل أن تقول مردفة :

ـ أرجو ألا أكون أنا التى أغضبتك .

مد يده ليرفع خصلات شعرها المتهدلة عن جبينها ، قائلًا :

ـ أنا لا أستطيع أن أغضب منك يا (نهى) .

قالت دون أن ترفع عينيها عن وجهه ، وما يزال ذلك التدفق العاطفى يشع منها :

ـ حقيقى يا (صلاح) .

قال ومازالت تلك الابتسامة الجذابة مرتسمة على وجهه :

ـ وهل أنا بحاجة لكى أؤكد لك ذلك ؟

نهضت من مقعدها ، لتقترب من النافذة التى تتوسط الردهة ، قائلة وهى تنظر من خلالها ، وكأنها تخشى أن

تلتقى نظراتها بنظراته هذه المرة :

ـ لقد أحسست فى الفترة الأخيرة أننى أفرض نفسى ومشاعرى عليك ، بصورة لا تحتمل ، كما أحسست أننى أسبب لك بذلك شيئا من المعاناة ؛ فأنت من جهة لا تريد أن تتسبب فى إيذاء مشاعرى ، ومن جهة أخرى تشعر بالذنب لأنك لا تستطيع أن تبادلنى هذه المشاعر ، وأنا أعترف بأننى كنت سخيفة ومتطفلة للغاية عليك ، وأنه لا ذنب لك .. إنك ...

قاطعها (صلاح) ، قائلا :

ـ (نهى) .. لماذا لا تتوقفين عن مثل هذا الحديث ؟

هزت رأسها ، قائلة :

ـ أنا أعرف .. أعرف أننى أثقل عليك ، وأن مثل هذا الحديث ...

عاد يقاطعها مرة أخرى :

ـ لا أقصد هذا ، ولكننى أريد أن أقول ...

توقفت الكلمات فى حلقه ، وقد شعر بالعجز عن التعبير ، فى حين تفحصته هى بنظراتها قائلة :

ـ هأنذا قد عدت لإحراجك وإحراج نفسى أيضا .. حسن دعنا من هذا الحديث ، وقل لى : كيف قضيت يومك فى العمل ، بعد عودتك من الإجازة ؟

أدار ظهره لها ، قائلا :
- (نهى) .. لقد نقلت للعمل خارج (القاهرة) .
شعرت بغصة فى حلقها ، لدى سماعها ذلك ، فقالت بصوت مضطرب :
- هل يعنى هذا أنك ستقيم خارج (القاهرة) ؟
التفت إليها قائلا :
- نعم .
بدت كما لو كانت تهذى ، وهى تردد :
- ولكن .. هذا يعنى .. يعنى .. يعنى أنك ستبتعد عنى ، ولن أتمكن من رؤيتك كل يوم ، على النحو الذى كنا عليه من قبل ؟
اقترب منها وهو يبتسم ، محاولا التخفيف عنها ، ليقول :
- الأمر لا يستحق منك كل هذا الانفعال ، فلن أغادر (مصر) .. ستكون هناك إجازات أسبوعية وسنوية ..
ولكنها تحولت إليه ، وفى عينيها نظرة أسى ، قائلة :
- كيف طاوعك قلبك على أن تفعل ذلك ؟
(صلاح) :
- (نهى) .. ما الذى فعلته ؟ .. إننى أعمل فى الجمارك ، وأنت تعرفين أن طبيعة عملى تقتضى منى أن أنتقل للعمل فى أماكن مختلفة داخل الجمهورية .

احتدت قائلة :
- إنك تنظر للأمر هكذا بمنتهى البساطة .. تجعلنى أتعلق بك ، وأعتاد على وجودك إلى جوارى ، وفجأة تخبرنى أنك سترحل عنى ، وتتركنى وأنا أحوج ما أكون إليك ، ثم تقول لى بمنتهى الاستخفاف والبساطة : إن ظروف عملك تقتضى ذلك ! .. ولماذا لم يفكروا فى نقلك خارج (القاهرة) إلا الآن ؟
ونظرت إليه ، وفى عينيها نظرة ارتياب ، قائلة :
- ولماذا لا تكون أنت الذى طلبت منهم نقلك ؟
ثم أردفت وكأنها ترد على نفسها :
- نعم .. لتهرب منى .. هل أثقل عليك إلى هذه الدرجة ؟
همس قائلا :
- (نهى) .
ولكنها استمرت فى حديثها ، الذى أصبح أشبه بالهذيان ، قائلة :
- إنك تريد أن تبتعد عنى يا (صلاح) .. لقد وجدت أن هذا هو الحل الوحيد ، الذى يحررك من هذا العبء .
(صلاح) :
- (نهى) .. ماذا تقولين ؟

ولكنها أكملت وكأنها لا تسمعه :

ـ ولكننى لا أحتمل فكرة ابتعادك عنى .

ثم نظرت إليه ، قائلة بتوسّل :

ـ أرجوك يا (صلاح) .. أرجوك ابق إلى جانبى ، ولا تتخل عنى .. ابق إلى جوارى ، ولن أثقل عليك بمشاعرى وأحاسيسى .. أعدك بذلك .. فقط ابق إلى جوارى ، ولا تتركنى .

حدق (صلاح) فى وجهها ، وقد راعه أن يكون تأثيره عليها قد وصل إلى هذا الحد .. لقد تحولت مشاعرها نحوه إلى حالة مرضية ..

وأحاط كتفيها بساعديه ، ليساعدها على الجلوس فوق الأريكة ، مهدئًا من خواطرها ، وهو يقول بصوت خافت :

ـ (نهى) .. أرجوك أنتِ اهدئى واسمعينى .. إننى لا أحاول الهروب منك أو الابتعاد عنك كما تقولين ، فأنت ابنة خالتى العزيزة ، ولك مكانة كبيرة فى قلبى .. إننى أسعد حقيقة لوجودى إلى جوارك ، ولا أحب أن أبتعد عنك ، ولكن ظروف عملى هى التى تقتضى منى ذلك .. إن مفتش الجمارك يتنقّل دائمًا بين الموانئ والمطارات المختلفة ، ولكن هذا لا يعنى أننا سنبتعد عن بعضنا كلية ، فكما قلت لك ، ستكون هناك إجازات أسبوعية وسنوية ،

كما أنه يمكنك أن تحضرى مع أمى إلى البلدة التى انتقلت إليها ، لقضاء بضعة أيام معى ، خاصة وأن هذه البلدة ليست غريبة عليك ، بل إنك تربيت وعشت فيها سنوات عمرك كلها .

وابتسم قائلًا :

ـ أعتقد أنك عرفتها الآن .. (الإسكندرية) .. سأعمل فى ميناء (الإسكندرية) .. أليس هذا شيئًا رائعًا ؟ .. إنها المدينة التى قضينا فيها أحلى سنوات طفولتنا وصبانا .

قالت ساهمة :

ـ والتى فقدت فيها أعز الناس لدى .

قال محاولًا التخفيف عنها :

ـ هل تذكرين مداعبات الشاطئ ، والساعات الطويلة التى كنا نقضيها فى البحر ، نصارع أمواجه المتلاطمة ، ونلهو ونمرح .

ولكنها تجاهلت محاولته ، قائلة :

ـ إذن فقد عقدت العزم على أن تسافر وتقيم هناك .

قال بصوت حنون :

ـ أرجو أن تتفهمى الظروف التى تضطرنى لذلك .

تطلعت إليه فى رجاء ، قائلة :

ـ إذن .. خذنى معك .

نظر إليها (صلاح) فى دهشة ، قائلا :

ـ ماذا تقولين يا (نهى) ؟ .. كيف يمكننى أن آخذك لتقيمى معى ؟ إنه وضع غير مقبول بالطبع .

قالت فى إلحاح :

ـ أذهب معك أنا وخالتى ، فلا حاجة لوجودنا هنا بعد رحيلك .. يمكننا أن نقيم فى منزلنا فى (الإسكندرية) .. الشقة خالية الآن ، و ...

قاطعها (صلاح) :

ـ الشقة استردها المالك ، وأنت تعرفين ذلك ، ثم أن أمى لا تستطيع أن تفارق (القاهرة) ، خاصة وأنها مريضة بالروماتيزم ، ومرضها هذا يحول بينها وبين الإقامة فى مناخ رطب ، ولا تنسىْ أننا قد حولنا أوراقك إلى الجامعة هنا ، ولم يعد أمامك سوى هذا العام لتحصلى على (البكالوريوس) .

(نهى) :

ـ أنت تعرف جيدًا أننى لن أدخل الامتحان هذا العام .

قال وقد بدأ يشعر بالضيق :

ـ فليكن .. ولكن أوراقك قد حولت إلى جامعة (القاهرة) ، وستبقين هنا فى (القاهرة) ، ولن تذهبى إلى أى مكان آخر ، ويكفى هذا يا (نهى) فقد تعبت .

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالدموع ، قائلة :

ـ أنا آسفة .. لقد نسيت نفسى مرة أخرى .

وهمت بمغادرة الردهة ، ولكنه أمسك بمعصمها ، قائلا :

ـ انتظرى .

ثم أطلق زفرة قصيرة ، قائلا :

ـ أنا الذى يتعين على أن أتأسف لك .

قالت وهى تحاول أن تجذب معصمها من يده :

ـ ولماذا تتأسف ؟ .. إننى أعترف بأننى أحمّلك فوق ما تحتمل ، ولا أدرى كيف أفعل ذلك ، إننى ألوم نفسى كل مرة على فعله ، لا أدرى لماذا أسمح لنفسى باقتحام عملك وحياتك الشخصية على هذا النحو ؟

حاول أن يرسم ابتسامة على وجهه ، قائلا :

ـ لك بعض الحق فى ذلك بالطبع ، فأنت ابنة خالتى ، وصديقة عزيزة على نفسى .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة تنم عن خيبة الأمل ، مردِّدة :

ـ ابنة خالتك وصديقتك العزيزة .

ثم تنهدت قائلة :

ـ أحيانًا يَصور لى الوهم أنه يمكن أن يكون بيننا ما هو

أكثر من ذلك ، وهذا الوهم الكاذب هو الذى يدفعنى إلى ارتكاب تلك الحماقات معك ، ويجعلنى أعطى نفسى حقًا أكثر مما هو لى .

تناول (صلاح) يدها الصغيرة بين راحتيه ، قائلًا :

ـ إنك حساسة أكثر من اللازم يا (نهى) ، وهذه مشكلتك الحقيقية .

ولكنها جذبت يدها من بين يديه فى رفق ، قائلة :

ـ حسن يا (صلاح) .. سافر إلى عملك ، ولا تشغل نفسك بى .

همس قائلًا :

ـ لا أريد أن أسافر وأنت غاضبة منى .

هزّت كتفيها وهى تتظاهر باللامبالاة ، قائلة :

ـ لست غاضبة .

(صلاح) :

ـ ولكن ...

قاطعته قائلة :

ـ صدقنى .. لست غاضبة .. إننى أندفع أحيانًا ، وأرتكب بعض الحماقات ، ولكن عذرى فى ذلك أننى .. أننى ...

وبدا كما لو أنها تحول بينها وبين لسانها حتى لا تنطق

تلك الكلمة ، التى يريد أن يعبر عنها قلبها ، فقالت وقد استبدلتها بعبارة أخرى :

ـ ولكننى أعود فأعرف أننى لست أكثر من فتاة حمقاء طائشة ، وأنك كنت محقًا تمامًا فى قولك وتصرفك .

نظر إليها (صلاح) متأثرًا ، ثم عاد ليتناول يدها بين يديه ، قائلًا :

ـ لن أسافر إلى عملى قبل يومين ، وخلال هذين اليومين سنقضى الكثير من الوقت معًا ، وسنذهب معًا إلى الكثير من الأماكن الجميلة .

لم تتمالك نفسها ، فألقت رأسها فوق كتفه ، وهى تبكى قائلة :

ـ لا تتخلّ عنى يا (صلاح) ، فلم يعد لى فى هذه الدنيا سواك .

تردّد قليلًا ، قبل أن يمسح بيده على شعرها المتهدل فوق كتفيها ، قائلًا ونظرة قلق تطل من عينيه :

ـ لن أتخلى عنك أبدًا يا (نهى) .. أعدك بذلك .

وفى نهاية الردهة وقفت أمه تنظر إليهما ، وفى عينيها نظرة أكثر قلقًا ..

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

حاول (صلاح) فى اليومين التاليين أن يعوض (نهى) عن الأثر الذى خلفه قراره بالإقامة فى (الاسكندرية)، وبذل كل جهده لإسعادها، وإدخال البهجة على نفسها، بالذهاب إلى أماكن كثيرة ومتنوعة، وقضى معها معظم ساعات اليوم، وأحست (نهى) بالجهد الكبير الذى يبذله (صلاح) لإسعادها، فتظاهرت أمامه بالمرح والسعادة، حتى لاتشعره بخيبـة أمل، وإن كانت قد فشلت فى الاستمرار بالتظاهر، فى تلك اللحظات التى كانت تتصوره فيها بعيدًا عنها، فلم تكن تقوى على مغالبة مسحة الحزن والأسى، التى ترتسم على ملامحها، كلما جال ذلك بخاطرها، وعلى الرغم من الشمس الدافئة، وروعة المكان فى تلك المنطقة المحيطة بالأهرام، إلا أنها عجزت عن التجاوب مع جمال الطبيعة وعبق الماضى حولها، كما يفعل أولئك السائحون، الذين يتنقلون فى المكـان مستمتعين بكل جزء فيه.

واقترب منها (صلاح)، قائلًا:

- فيم تفكرين؟

وعلى الفور افتعلت ابتسامة، وهى تهز كتفيها قائلة:

- لاشىء.. لقد سرحت قليلًا.

ضحك قائلًا:

- هل كنت تفكرين فى خوفو؟

حاولت أن تبادله مزاحه، فعجزت عن ذلك، وعلى الفور جذبها من يدها، قائلًا:

- هيا بنا.

وجدت نفسها تجرى فى أثره، وهو يجذبها من يدها، فسألته قائلة:

- إلى أين؟

(صلاح):

- سنمتطى أحد الجمال.

وللمرة الأولى وجدت نفسها تضحك ضحكة غير ذات معنى، قائلة:

- هل أنت مجنون؟

قال دون أن يتوقف عن الركض، متجهًا إلى أحد أصحاب الجمال:

- وهل كل أولئك الأشخاص، الذين يمتطون الجمال مجانين؟

أصرت على التوقف، قائلة وهى تلهث:

- ولكن ما الذى جعلك تفكر في ذلك؟

ابتسم قائلًا:

- وما الذى يمنعنى من التفكير فى ذلك؟.. لقد خطر

فى ذهنى فجأة أن أمتطى أحد الجمال ، كما يفعل هؤلاء السائحون ، وأن تشاركينى ذلك ، وأنا مصر على تحقيق هذا الخاطر .

نظرت إليه مليًا ، قائلة :

ـ ليتنى كنت مثلك ، قادرة على تحقيق كل ما أتمناه بمثل هذه السهولة .

استأجر (صلاح) أحد الجمال من صاحبه ، وامتطاه بعد أن أجلس (نهى) خلفه ، وأخذ يقود الجمل ، الذى ظل يتهاوى بهما فوق الرمال ، فى خطوات متأنية ، وبينما كان سعيدًا بتحقيق خاطره الطفولى ، كانت (نهى) سعيدة بجلوسها قريبة منه إلى هذا الحد ، حيث يمكنها أن تريح رأسها على ظهره ، وأن تلمس بيديها النحيلتين كتفيه العريضتين ، وأحست أنه ملك لها وحدها ، فى هذه اللحظة ، وتملكها شعور غريب بأنه لا يوجد سواهما فى هذه الصحراء ، غير تلك الأحجار التى تتشكل منها الأهرامات الثلاثة ، وبدا لها ذلك الجمل الذى يمتطيانه ، وكأنه محمل بهودج ينقلهما إلى عش الزوجية السعيد ، وندت عنها آهه صغيرة ، فقد تمنت فى هذه اللحظة أن تكون المسافة بين قلبيهما أقصر من المسافة بين جسديهما المتلاصقين ، وسألها قائلا :

ـ (نهى) .. هل أنت سعيدة ؟

لم تقو على مقاومة نفسها أكثر من ذلك ، فأحاطت صدره بساعديها من الخلف ، وهى تريح رأسها على ظهره ، قائلة بصوت حالم :

ـ سعيدة للغاية .. سعيدة إلى درجة أننى لا أريد لهذه اللحظة أن تنقضى أبدًا .

وفى نهاية اليوم ، وقف (صلاح) يتأملها مليًا ، وهو يقول لنفسه :

ـ ولم لا .. (نهى) ابنة خالتك ، وهى فتاة جميلة ، تمتلئ بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة ، وهى صديقة طفولتك وصباك ، وأقرب إنسانة إلى قلبك ، وفوق كل ذلك فهى تحبك .. بل إنها تحبك حبًا جنونيًا ، كما يبدو واضحًا فى عينيها وتصرفاتها ، وفى كل لمسة من جوارحها ، ألا يكفيك كل هذا ، لكى تحبها وتختارها زوجة لك ؟

ولم يستطع أن يحصل على إجابة حاسمة يريح بها نفسه ، فتوقف عن الاستغراق فى تفكيره متمتمًا :

ـ ربما ساعدنى ابتعادى عنها ، فى الحصول على تلك الإجابة .. نعم إننى بحاجة إلى بعض الوقت ، حتى أحصل على رد حاسم على تساؤلى هذا .

سألته قائلة :

ـ فيم تفكر ؟
ابتسم قائلًا ، وهو يمسح على شعرها :
ـ ستوحشيننى يا (نهى) .
انفرجت أساريرها ، قائلة :
ـ حقًا يا (صلاح) ؟ .. هل ستفتقدنى حقًا ؟ .. أعنى هل ستفتقدنى باعتبارى ابنة خالتك وصديقتك المقربة ، أم باعتبارى .. باعتبارى ...
ولم تقو على إتمام عبارتها ، فقال لها :
ـ أعرف جيدًا ماذا تريدين ؟ من يدرى يا (نهى) .. ربما كان شعورى على هذا النحو الذى توقفت عن البوح به ، وربما جاء فراقنا لفترة من الوقت كاشفًا عن حقيقة مشاعر ، كانت خافية عن نفسى ، على النحو الذى لم أدركه وأنا قريب منك .
(نهى) :
ـ إننى سأعيش على ذلك الأمل .
(صلاح) :
ـ وأنا لا أنصحك بأن تفرطى فى الأمل ، فربما كشف لك فراقنا أنت أيضًا عن أن مشاعر الحب الدافقة ، التى تحسينها نحوى ، لم تكن أكثر من وهم ، وأن السبب الحقيقى فى اندفاعك وراء هذه المشاعر ، يكمن فى تلك

الظروف النفسية ، التى تعرضت لها أخيرًا ، وذلك الاحساس بالوحدة والفراغ ، الذى حتم أن أكون قريبًا منك للغاية ، وأن أساعدك على تجاوز هذه المحنة ، ومن يدرى ، ربما ساعدك فراقى على الالتقاء بشخص آخر ، فى ظروف طبيعية أكثر ، يجعلك تحبينه حبًا حقيقيًا ، ينسيك (صلاح) ، ويجعلك تتذكرين مشاعرك هذه الآن بكثير من الدهشة والاستغراب .
تقلصت ملامح وجهها ،،وهى تقول :
ـ (صلاح) .. لا تقل مثل هذه الكلمات ، فحبى لك أكبر بكثير من استخفافك بمشاعرى على هذا النحو .
(صلاح) :
ـ إننى لا أقول شيئًا .. إننى أريد أن أحررك وأحرر نفسى من أى قيد يربط أحدنا بالآخر .. أريد أن يمنح كل منا الآخر فرصة حقيقية لاختبار مشاعره ، دون إلزام ، أو شعور بالذنب ، ودون الوقوع تحت تأثير مشاعر قد تكون خادعة ، وفى النهاية سيكون حكمنا على مشاعرنا أكثر دقة وقوة ، هل تعديننى بذلك يا (نهى) ؟
(نهى) :
ـ لن أعدك سوى بشىء واحد وهو أننى لن أتوقف عن حبك أبدًا .. أبدًا يا (صلاح) .

★ ★ ★

٤ ـ حورية على الشاطئ ..

استطاع (صلاح) بعد مرور عشرين يومًا ، منذ استقراره فى (الإسكندرية) ، أن يتخلص من حيرته ، التى لازمته فى الفترة الأخيرة ، وأن يحسم الأمر مع نفسه ، فالأيام التى باعدت بينه وبين (نهى) ، عالجت ذلك التشويش الذى سيطر على مشاعره ، وألقى على ضميره بأحمال ثقيلة ؛ فقد تأكدت لديه تلك الحقيقة ، التى استقرت فى نفسه من قبل ، وهى أن علاقتهما لم تكن ، ولن تكون هى تلك العلاقة العاطفية ، التى تصل إلى مرتبة الحب ، بكل ما يحمله من معانٍ وأحاسيس .. تلك الأحاسيس والمعانى ، التى لا تغفلها القلوب ، ولا تضل عنها المشاعر .. ان ما يربطه بـ (نهى) حقيقة ، هو علاقة إعزاز قوية ، تشعره دائمًا بالمسئولية نحوها ، وتحفظ لها مكانة كبيرة فى قلبه ، ولكنها مكانة لا تتخطى تلك الحدود ، التى يرسمها القلب بين الإعزاز والحب ..

وأحس (صلاح) بارتياح كبير لهذه النتيجة ، كما أحس بتحرّر من تلك المشاعر المذبذبة ، التى ظلت تتنازعه

أخيرًا .. لقد أدرك الآن أن نصيحة أمه له بالسفر كانت نصيحة قيمة للغاية ، وكانت فى صالح الجميع ، ولكن المشكلة الحقيقية التى ما تزال قائمة أمامه ، هى مشاعر (نهى) نحوه .. إنها تتصل به تليفونيًا يوميًا تقريبًا ، كما أنها ، فى إجازته الأخيرة إلى (القاهرة)، بدت وكأن مشاعرها لم تنقص ذرة واحدة ، عن ذلك اليوم الذى رحل فيه عنها .. لقد توقفت عن التعبير عن تلك المشاعر ، وأصبحت أكثر حرصًا فى إبداء عواطفها نحوه بصورة صريحة ، ربما لأنها وعدته بذلك ، وربما حرصًا على كرامتها ، خاصة وأنها لم تر منه ما يشير إلى تبدل مشاعره نحوها ، ولكن كل شىء كان يبدو واضحًا فى عينيها ، وفى لهفتها عليه ، وفى كل لفتة تبديها نحوه ، ولكن (صلاح) كان قد قرر أن يحرّر نفسه تمامًا ، من تلك القيود التى تقيده فى علاقته بها ، وأن يتحرّر حتى من إحساس بالذنب لا مبرر له ، فهو موقن من أنه لا يكن لـ (نهى) عاطفة حب حقيقية ، ولا يستطيع أن يخدعها ويخدع نفسه ، بمشاعر غير موجودة ، لمجرد الحرص على مشاعرها ، ومراعاة لحالتها النفسية ، فلا يوجد ما هو أسوأ من الخداع ، وخاصة خداع القلب ، والكذب على المشاعر ، وبهذه النتيجة التى انتهى إليها ، كان

ضميره مستريحًا تمامًا ، ولم يعد متبقيًا أمامه سوى أن يجعل (نهى) تتقبل هذه الحقيقة أيضًا ، دون أن يجرح إحساسها ، ودون أن يقطع ما بينه وبينها من إعزاز ، لن تغير منه هذه الحقيقة شيئًا ، وتمنى من الله أن تجد (نهى) ذلك الإنسان ، الذى يستطيع أن يبدل مشاعرها نحوه ، ويخفف من أثر هذه النتيجة عليها ، لكى يمر الأمر دون جراح أو ألم ، وحتى يحدث هذا ، عليه أن يراعى التخلص من عاطفتها المشبوبة نحوه تدريجيًا ، وبلا صدمات ..

واسترخى (صلاح) فوق مقعده المواجه للشاطئ مباشرة ، بعد يوم عمل شاق ، وقد أطبق جفنيه مستسلمًا للنوم ، تحت المظلة التى يجلس تحتها ، وإلى جواره كانت هناك فتاة وشاب من المصطافين ، يقضيان يومهما على الشاطئ فى مرح ولهو ، وأرادت الفتاة أن تمزح مع الشاب ، فألقت إليه بكرة بلاستيكية ، لم يكد يمسكها حتى انكمشت فى يده ، محدثة صوتًا أشبه بنقيق الضفادع ، مما أثار اضطراب الفتى ، وضحكت الفتاة لما ألحقته بصديقها من فزع ، وما لبثت أن غادرت مقعدها وهى تتراجع إلى الوراء ، دون أن تتوقف عن الضحك ، عندما رأت فى عينيه نظرة غيظ ورغبة فى الانتقام ، ثم فتح الفتى حقيبته الجلدية ، التى وضعها على الرمال إلى

جواره ، ليخرج منها حوضًا زجاجيًا صغيرًا يمتلئ بالماء ، حيث نزع غطاءه ، وتناول من داخله قرموطًا من السمك ، تأهبًا لإلقائه على الفتاة ، ونظرت إليه الفتاة فى خوف ، قائلة :

ـ كلا .. إلا هذا .. لا مزاح باستخدام هذه الأشياء ، فأنت تعرف الخوف الذى يعترينى منها .

ولكنه قال ، وهو ينهض من مقعده مبتسمًا :

ـ إنك تستحقين مثل هذا العقاب .

أسلمت الفتاة ساقيها للرياح ، فى اللحظة التى ألقى فيها الشاب قرموط السمك فى اتجاهها ، وأخطأت السمكة طريقها إلى الفتاة ، لتسقط فوق قدمى (صلاح) ، الذى شعر بملمسها الناعم فوق ساقيه ، وهى تتلوى يمينًا ويسارًا ، فهب من رقاده فزعًا ، ليرى ذلك الشئ وهو يتحرك فوق فخذيه ، وجعلته المفاجأة يفقد توازنه سريعًا ، خاصة عندما حالت آثار النوم الذى كانت ماتزال واضحة على وجهه وعينيه دون تمييزه ، فتركه مذعورا ليسقط على فخذيه مرة أخرى ، وحاول أن ينفضه عنه ، فاختل توازنه ، وسقط من فوق مقعده على الرمال ، إلى جوار قرموط السمك ، وأصبح المشهد كله مثيرًا للضحك والسخرية ، واستطاع (صلاح) أن يميز ضحكة أنثوية

عالية إلى جواره . فاكتسى وجهه بقناع من الغضب ، وقد ظن أن صاحبة هذه الضحكة هى التى تسببت فيما حدث له . فالتفت إليها بعينين تقدحان شررا ، وهو مايزال مسجى فوق الرمال ، وكانت الفتاة مستغرقة فى الضحك ، وهى تنظر فى اتجاهه ، على نحو يحول دون سيطرتها على نفسها ، ولكنها عندما رأت عينيه الغاضبتين ، وهو ينظر فى اتجاهها ، أحجمت عن الضحك ، ووضعت إحدى يديها على فمها ، حتى لا تفلت منها إحدى تلك الضحكات التى كتمتها ، فى حين أشارت له بإصبعها إشارة تفيد بأنه لا ذنب لها فيما حدث له ، وفجأة اقترب الشاب الذى ألقى بقرموط السمك من (صلاح) ، ليتناول القرموط ، الذى مايزال يتلاعب بجسده فوق الرمال ، ويضعه داخل حوض السمك ، وهو يعتذر له قائلا :

ـ آسف .. لقد سقط هذا القرموط فوقك بطريق الخطأ ، ولم تكن أنت الشخص المقصود .. ثم انصرف فى هدوء ، وقد لحقت به فتاته التى أخذ يعاتبها على ما تسببت فيه ، دون أن يعود أحدهما فيلتفت إلى (صلاح) ، الذى تحولت عيناه فى اتجاه الشاب ، وقد اعتراه الذهول ، وعندما رأت الفتاة الضاحكة تلك النظرة الذاهلة فى عينيه ، عادت للضحك من جديد ، دون أن تقوى على أن تتمالك نفسها

هذه المرة، ونهض (صلاح) من رقدته ، وهو ينفض الرمال عن جسده ، ناظرًا يسارًا فى اتجاه الشاب ، ثم يمينًا فى اتجاه الفتاة ، وفى عينيه نظرة امتعاض ، وأحست الفتاة بالحرج ، وتمنت ألا يظن (صلاح) أنها تسخر منه ، فعملت على حجب ضحكتها مرة أخرى ، قائلة بصوت رقيق :

ـ أنا آسفة .. ولكن المشهد كان مثيرًا للضحك .. أعنى ...

ولم يرد عليها (صلاح) ، بل عاد ليجلس فوق مقعده ، موليًا لها ظهره ، دون أن ينطق بكلمة ، وملامح الامتعاض مازالت مرتسمة على وجهه ، وحاول أن يطبق جفنيه ويستسلم للنوم مرة أخرى ، لكنه مالبث أن فتح جفنيه مرة واحدة ، وقد ومضت عيناه ، وبدتا أكثر ذهولًا عن ذى قبل .. لقد اختفت منهما نظرة الامتعاض التى وجهها إلى الشاب والفتاة الضاحكة ، وحلت محلها نظرة دهشة بالغة .. ربما كانت من نفسه هذه المرة ، بأكثر مما هى من أى شىء آخر ، وهتف لنفسه بهمس :

ـ كيف لم ألحظ ذلك من الوهلة الأولى ؟ هذه الفتاة رائعة الجمال ، ولها عينان ساحرتان .

وضرب بيده على جبهته ، قائلًا :

ـ يالى من أحمق .. كيف سمحت لنفسى أن أستقبل ضحكتها الفاتنة هذه بوجه متجهم ونظرات غاضبة ؟!

والتفت نحوها ، ليراها وقد أمسكت بإحدى المجلات تطالعها ، حيث اختفت ملامح الضحك من وجهها ، لتحل محلها ملامح لفتاة جادة ، وقد استولت المجلة على اهتمامها ، ولكن حتى بهذه الملامح الجادة .. كانت الفتاة رائعة الجمال بالفعل ..

كانت تمتلك شعرًا أسود ناعمًا ، ينسدل فوق كتفيها فى انسيابية جذابة ؛ وعينين ساحرتين بلون العسل الصافى ، تشعان جمالًا وثقة واعتزازًا بالنفس ، أما بشرتها فكانت متوردة تورذا طبيعيًا ، يغنيها عن استخدام أية مساحيق للتجميل ..

واحتاج (صلاح) عدة لحظات ، لكى يسترد سيطرته على نفسه ، ويستعيد توازنه من جديد ، والذى أخلت به هذه المرة تلك الجاذبية التى تشع من الفتاة ، التى رفعت عينيها عن المجلة ، لتراه وهو يحدق فيها ، وما أن التقت عيناه بعينيها ، حتى ابتسم لها قائلًا :

ـ معك حق .. لقد كان المشهد مثيرًا للضحك والسخرية بالفعل .. لقد فوجئت بذلك الشىء يتراقص فوق

جسدى ، دون أن أدرى ما إذا كان قد هبط من السماء ، أم انشقت عنه الرمال .

لم تجبه الفتاة سوى بابتسامة صغيرة ، قالت بعدها بصوت رقيق :

ـ على كل حال أكرّر أسفى .

اتسعت ابتسامة (صلاح) ، قائلًا :

ـ على أى شىء .. لو كنت مكانك لما تمالكت نفسى أنا أيضًا من الضحك .

عادت الفتاة تنظر إلى المجلة ، دون أن تعلّق بأى تعليق ، وحُرك (صلاح) مقعده قليلًا ، لينقص من المسافة بينه وبينها ، قائلًا :

ـ هل أنت من (الإسكندرية) أم تصطافين هنا ؟

عادت ترفع عينيها عن المجلة مرة أخرى ، قائلة :

ـ بل جئت لقضاء بضعة أيام فى (الاسكندرية) .

(صلاح) :

ـ وحدك أم مع العائلة ؟

أجابته قائلة :

ـ بل برفقة أبى .

(صلاح) :

ـ لابد أنك من (القاهرة) .

وفجأة اكتست ملامحها بمظهر حاد ، قائلة :
ـ لا أعتقد أنك تنوى إجراء تحقيق معى .
(صلاح) :
ـ ولماذا لا تقولين إننى أرغب فى التعارف ؟
أجابته بنفس اللهجة الجافة :
ـ وما الذى يدعونا إلى التعارف ؟
شعر ببعض الحرج ، فأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا ، لفتات غير ذات مغزى ، ثم قال :
ـ لا أعتقد أنه هناك ما يمنعنا من التعارف ، فمعظم العلاقات الإنسانية تبدأ بمثل هذه التعارفات .
نظرت الفتاة إلى المجلة ، قائلة :
ـ عندما يكون هناك سبب لذلك .
ثم التفتت إليه قائلة بحدة :
ـ أم أنك تظن أن بضعة ضحكات ، اعتذرت لك عنها ، تمنحك الحق فى محاولة التقرّب منى .
قال (صلاح) ، وفى عينيه نظرة صدق :
ـ فى الواقع إننى لم أر فى حياتى أجمل من هذه الضحكات .
نظرت إليه قائلة :
ـ إنك تغازلنى أيضًا .

وفى تلك اللحظة اقترب شخص ضخم الجثة ، قوى البدن ، على الرغم من سنوات عمره المتقدمة ، وشعره الأشيب ، من مظلة الفتاة ، فنهضت سريعًا لاستقباله ، قائلة :
ـ أبى .. لماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟
قال الرجل ، وهو ينظر إلى (صلاح) نظرة حادة :
ـ لقد سرقنا الوقت أنا وعمك (أمين) ، فى لعب الطاولة .
قالت وهى تجمع حاجياتها :
ـ لقد قلقت عليك .
سألها الرجل :
ـ لماذا تجمعين حاجياتك ؟ .. هل تنوين الرحيل ؟
أجابته قائلة :
ـ نعم .. بدأت أشعر بالسأم .
قال مندهشًا :
ـ ولكن الجو جميل ، والبحر رائع .
ردت قائلة :
ـ ولكننى أريد العودة إلى المنزل .
عاد الرجل ينظر إلى (صلاح) فى حدة ، قائلًا :
ـ هل ضايقك أحد ؟

أجابته قائلة :

ـ أبدًا .. أنا أرغب فى العودة إلى المنزل ، فلا أجد تسلية حقيقية فى وجودى هنا .

وكان (صلاح) قد تراجع بمقعده ، إلى وضعه السابق ، وهو يتظاهر بالتطلع إلى الأمواج ، بعد أن لاحظ تلك النظرات النارية ، التى يوجهها إليه الرجل ، الذى عاد يقول لابنته :

ـ ولكنى رأيت ذلك الشاب يحاول التحدث إليك .

تعلقت الفتاة بذراع أبيها ، قائلة :

ـ هيا بنا الآن يا أبى .. وسأروى لك ما حدث فى طريقنا .

قال الأب مصطنعًا الخشونة :

ـ إذا كان قد ضايقك فقولى لى .

ولكنها جذبته من ذراعه ، قائلة :

ـ لم يصل الأمر إلى حد المضايقة .. قلت لك : سأروى ما حدث فى الطريق .

وتنفس (صلاح) الصعداء ، وهو يراهما راحلين ، إثر هذا الموقف المحرج ، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التطلع إلى الفتاة ، ومتابعة خطواتها ، وهى تسير فوق الرمال ، ولم يتمالك نفسه من الإعجاب ؛ فقد كانت الفتاة

تمتلك قوامًا ممشوقًا كغصن البان ، لا يقل فتنة وجاذبية عن وجهها الساحر ، وخيل إليه وهو يتابع خطواتها على الشاطئ ، أنها قد التفتت وراءها لتلقى عليه نظرة سريعة ، بل خيل إليه أنها تشيعه بابتسامة خلابة ، وأغمض عينيه .. ثم فتحهما قائلًا لنفسه :

ـ هل يمكن أن يكون هذا حقيقيًا ؟

ولم يجد لديه جوابًا شافيًا ..

★ ★ ★



٥ ـ أعراض الحب ..

لم يستطع (صلاح) أن يمنع نفسه عن التفكير فيها طوال اليوم ، واليوم الذى يليه .. ظلت صورتها ماثلة فى ذهنه ، وضحكتها المشرقة تبعث الدفء فى أوصاله .. لقد شدته هذه الفتاة إليها منذ الوهلة الأولى ، ولأول مرة يجد نفسه عاجزا عن التركيز فى عمله ، حتى أن أحد زملائه لاحظ ذلك ، فسأله قائلًا ؟ ..

ـ ما هذا يا (صلاح) ؟ .. لقد أخطأت فى إحصاء عدد الصناديق .

انتبه (صلاح) قائلًا :

ـ هه .. يبدو أننى قد أخطأت بالفعل .

قال زميله ، وهو يتطلع إليه بدهشة :

ـ هذا هو الخطأ الرابع منذ الصباح ، مع أنك مشهود لك بالكفاءة ودقة التركيز ، ولا أتصور أنك تقع فى أخطاء بسيطة كهذه ، لا يمكن أن يرتكبها مبتدئ .

مرّر (صلاح) يده على جبهته ، قائلًا :

ـ أعتقد أننى أفتقد التركيز الكامل هذا اليوم .

ابتسم زميله ، قائلًا بتخابث :

ـ هل تحب يا (صلاح) :

نظر إليه (صلاح) بدهشة ، وعاتبه قائلًا :

ـ ماذا تقول ؟

ضحك زميله ، قائلًا :

ـ لماذا انفعلت هكذا ؟ كلنا وقعنا فى المحظور من قبل .

سأله (صلاح) ، كما لو كان يحاول أن يستفسر منه عن شىء خفى عنه :

ـ ماذا تقول ؟

قال زميله ضاحكًا :

ـ أقول : تبدو عليك أعراض الحب ، فعندما يفتقد خبير مثلك التركيز ، ويرتكب مثل هذه الأخطاء الصغيرة ، فهذا يعنى أنه قد وقع فى الحب ، أو فى سبيله إلى ذلك .

سأله (صلاح) :

ـ قل لى يا (كمال) .. هل تؤمن بتلك الأشياء التى يكتبونها فى الروايات ونراها فى الأفلام ؟ .. أعنى تلك الأشياء التى يكتبونها ، عن الحب من النظرة الأولى ، وأن تجد فجأة أمامك فتاة ليس بينك وبينها سابق معرفة أو صلة وطيدة ، تستولى على كل حواسك ومشاعرك فى لحظة واحدة .

حك (كمال) رأسه ، قائلًا :

ـ فى الواقع إننى لم أمر فى حياتى بشىء كهذا ، فأنا لم أحب زوجتى إلا بعد ثلاثة أشهر من الخطبة ، وانتهى هذا الحب بعد شهر واحد من الزواج ، ومع ذلك فلا أعتقد أن هناك شيئًا اسمه الحب من النظرة الأولى ، إلا إذا كنت تقصد الإعجاب بفتاة ما .

طرقع (صلاح) أصابعه ، وقد بدا كما لو كان قد اهتدى إلى الإجابة الصحيحة ، قائلًا :

ـ نعم .. الإعجاب .. أعتقد أن هذه هى الكلمة الصحيحة .

نظر إليه زميله قائلًا :

ـ إذن فقد أعجبت بفتاة ما .

أمسك (صلاح) ساعديه ، قائلًا :

ـ نعم .. فتاة رائعة الجمال ، لها ضحكة خلابة ، وابتسامة ساحرة ، رأيتها إلى جوارى فجأة على شاطئ البحر ، فبدت كما لو كانت إحدى حورياته ، غادرته.فجأة لتجلس على الرمال ، ومهمـــا حاولت أن أصف لك يا (كمال) ، فلن أستطيع أن أصوِّر لك كم هى جميلة وفاتنة تلك الفتاة .

نظر إليه صديقه ، وهو يقول :

ـ مهلًا .. مهلًا .. يبدو أن هذه الفتاة قد خلبت لبك بالفعل ..

(صلاح) :

ـ لو رأيتها لأيقنت أننى لا أبالغ فى وصفها ، فلها سحر لا يقاوم .

(كمال) :

ـ إذا كان الأمر كذلك ، فلك كل العذر فيما ارتكبته من أخطاء ، وفى تلك الصورة الشاردة التى تبدو عليها ، ويكون ذلك الشىء حقيقيًا إذن .

(صلاح) :

ـ أى شىء ؟

(كمال) :

ـ ذلك الذى يسمونه الحب من الوهلة الأولـــى ، فالشرود وعدم القدرة على التركيز ، وتلك الطريقة التى تصف بها الفتاة ، لا تدل على إعجاب فقط ، بل على أنك أصبت بشحنة كهربائية شديدة القوة ، قذفتك بها حورية الشاطئ هذه ، فزلزلت كيانك كله .

(صلاح) :

ـ (كمال) .. إننى لا أمزح .

(كمال) :

ـ وأنا أيضًا .. لقد أصبت بتلك الشحنة الكهربائية ، التى

يسمونها الحب،ويبدو أن فى عينى فتاتك (فولتًا) عالى التركيز.
ابتسم (صلاح)، وهو يهز رأسه قائلًا لنفسه :
- لا أعتقد أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد .. ولكن ...
قاطعه (كمال) :
- ولكن قل لى .. هل تعرَّفت الفتاة ؟
(صلاح) :
- هه .. ماذا تعنى ؟
قال (كمال) بتبرم :
- ماذا أعنى ؟ وهل لذلك سوى معنى واحد ؟ .. هل تعرفت هذه الفتاة التى خلبت لبك ؟
(صلاح) :
- فى الحقيقة .. لم تمنحنى الفرصة لذلك .
(كمال) :
- ألم تبتسم لك ؟
(صلاح) :
- بل أكثر من ذلك .. لقد كانت تضحك .. وكانت ضحكتها رائعة .
(كمال) :
- عظيم .. إذن فقد أعجبت بك .

(صلاح) :
- فى الحقيقة لم يكن هذا إعجابًا بى ، ولكنها كانت تضحك لأنها رأتنى فى موقف مثير للسخرية ، وأصابنى بارتباك كبير .
(كمال) :
- أى موقف هذا ؟
بدا (صلاح) مترددًا قليلًا ، ثم ما لبث أن قال :
- لقد هبط علىَّ فجأة قرموط من السمك من مكان لا أعلمه ، وأطاح بى من فوق مقعدى .
تراجع (كمال) خطوتين إلى الوراء ، وهو يتطلع إلى صديقه بدهشة ، مرددًا :
- قرموط سمك .. (صلاح) ياصديقى .. هل وصل تأثير هذه الفتاة عليك إلى هذا الحد ؟ .. هل جعلتك تفقد عقلك ؟
(صلاح) :
- هذه هى الحقيقة .. لقد حاول أحد الفتيان أن يمزح مع صديقته ، فألقى عليها بأحد الأسماك ، وهو مايزال حيًا ، فأخطأها ليكون هذا القرموط من نصيبى ، وقد وجدت نفسى أنتفض من النوم فجأة ، لأجد ذلك الشىء

يتلاعب فوق جسدى ، فأصابنى ذلك باضطراب كبير ، مما جعلنى أفقد توازنى ، لأسقط بمقعدى فوق الرمال .

وكانت الفتاة جالسة تحت المظلة المجاورة ، وعندما شاهدت ما حدث لم تتمالك نفسها من الضحك .

انفجر زميله فى الضحك لعدة لحظات ، ثم قال له محاولًا السيطرة على نفسه :

ـ والله لها حق ، فالمشهد يبعث على الضحك بالفعل ، حتى أن مجرد تصوره يجعلنى .. يجعلنى ...

ثم عاد للاستغراق فى الضحك مرة أخرى ، دون أن يكمل جملته ، ونظر إليه (صلاح) بغضب ، قائلًا :

ـ إننى لم أرو لك ذلك لكى تسخر منى .

(كمال) :

ـ آسف يا صديقى .. ولكن ما رويته ...

وتوقف عن الضحك تمامًا هذه المرة ، قائلًا :

ـ المهم .. ماذا حدث بعد ذلك ؟

(صلاح) :

ـ عندما رأيتها مستغرقة فى الضحك على هذا النحو ، وأنا فى حالة بالغة من الاضطراب ، شعرت بالحنق عليها ، ورميتها بنظرة غاضبة ؛ لكن ما إن عدت للجلوس فوق مقعدى ، حتى انتفضت فى مكانى كما لو أصابنى مس

شيطانى ، إذ راعنى أننى لم أنتبه فى أثناء انفعالى . لذلك القدر الكبير من الجمال ، الذى تمتلكه هذه الفتاة ، ووجدتنى ألوم نفسى لأننى غضبت ، وأنا أرى أجمل ضحكة رأتها عيناى .

(كمال) :

ـ وحاولت التحدث إليها .. أليس كذلك ؟

(صلاح) :

ـ نعم .. لقد شعرت أنها قد تجاوبت معى فى البداية ، فتبادلنا معًا حديثًا وديًا ، ولكنها سرعان ما اتخذت مظهرًا جديًا ، ورافضًا لاستمرار هذا الحديث .

(كمال) :

ـ هذا أمر طبيعى ، فالفتاة لم تحاول أن تبدو سهلة المنال أمامك ، ولكن تجاوبها فى البداية معك يدل على أنك قد نلت إعجابها أنت أيضًا .

قال (صلاح) شاردًا :

ـ أعتقد هذا ، فقد ابتسمت لى ابتسامة رقيقة فى أثناء انصرافها .

(كمال) :

ـ إذن فقد تركتها ترحل ، دون أن تعرف عنوانها ، أو تنال حتى منها موعدًا .

(صلاح) :

ـ بل .. ولم أعرف حتى اسمها ..

(كمال) :

ـ يا لك من أحمق !

(صلاح) :

ـ لقد حضر والدها فجأة ، واصطحبها معه ، فلم يمنحنى ذلك أية فرصة للحديث معها .

صمت (صلاح) برهة ، ثم قال :

ـ اسمع يا (كمال) .. هل يمكنك أن تحصل لى على إذن بالانصراف مبكرًا ، من رئيس الإدارة ؟

(كمال) :

ـ لماذا ؟

(صلاح) :

ـ سأعود إلى الشاطئ .. ربما التقيت بها فى نفس المكان الذى قابلتها فيه أمس .

نظر إليه (كمال) مليًا ، ثم قال بخبث :

ـ واضح أن الأمر قد تجاوز بالنسبة لك حدود الإعجاب .

(صلاح) :

ـ المهم .. هل يمكنك أن تساعدنى فى الحصول على هذا الإذن ؟

(كمال) :

ـ سأحاول .. خاصة وأنت بحالتك الحالية هذه لا تصلح لأداء أى عمل آخر ، غير التفكير فى فتاتك الحسناء ، كما أنه من الغباء التخلى عن فتاة بهذه المواصفات .

هرع (صلاح) إلى الشاطئ ، حيث اتجه إلى المكان الذى اعتاد أن ينصب فيه مظلته عادة ، وعيناه تبحثان بلهفة عن فتاة الأمس ، لكنه لم يجدها ، كما لم يجد مظلتها قائمة فى مكانها ، واقترب منه الرجل الذى يعمل فى تأجير المظلات والمقاعد للمصطافين ، قائلًا :

ـ أهلًا .. أستاذ (صلاح) .. لقد جئت فى غير موعدك المعتاد .. هل أعد لك مظلتك ؟

التفت إليه (صلاح) ، الذى كان مشغولًا بالبحث عن الفتاة ، قائلًا :

ـ قل لى يا عم (جابر) .. لقد كانت هنا فتاة أمس .. أعنى تلك الفتاة التى كانت تجلس على يمينى .. ألم ترها اليوم ؟

أجابه (جابر) ، قائلًا :

ـ يا أستاذ (صلاح) .. هناك آلاف المصطافين يأتون ويذهبون كل يوم ، كيف تريد منى أن أتذكر إحداهن وسط هذا الحشد ؟ .. الشاطئ واسع وممتد ، ولا تنتظر أن تستقر إحداهن فى مكان محدود كل يوم .

(صلاح) :

- ولكننى لا أتخلى عن هذا المكان غالبا .

رد عليه الحارس ، قائلا :

- أنت زبون قديم ومعروف ، وأنا أحجز لك هذا المكان بناء على طلبك بوسائلى الخاصة ، وفى اليوم والميعاد الذى اعتدت المجىء فيه ، ولدى عدد من الزبائن الآخرين مثلك ، ولكننى لا أعرف تلك التى ...

وفجأة جحظت عينا (جابر) ، وضرب بيده على جبهته ، قائلا كما لو كان قد تذكر شيئًا كان خافيًا عنه :

- انتظر .. هل تعنى الآنسة (إلهام) ؟

(صلاح) :

- لا أعرف اسمها بالضبط ، ولكن والدها رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، يتمتع ببنيان قوى ، على الرغم من سنوات عمره المتقدم ، ويبدو أنه يهوى لعب الطاولة .

ابتسم (جابر) ، قائلا :

- نعم الأستاذ (شوكت) المحامى .. لابد أنك تعنى الآنسة (إلهام) ، ابنة الأستاذ (شوكت) .. لقد كانت هنا قبل أن تأتى بخمس دقائق فقط .

قبض (صلاح) على ساعدى (جابر) ، قائلا :

- وأين هى الآن ؟

نظر إليه (جابر) بدهشة ، قائلا :

- لقد انصرفت .

اطرق (صلاح) براسه آسفا ، وهو يقول :

- انصرفت .

ابتسم (جابر) ، قائلا :

- على كل حال .. لقد رأيتها تسير على الشاطئ بمفردها ، دون أن تتجه إلى الشارع العمومى .

ثم غمز فى خبث ، قائلا :

- ومن يدرى ؟ .. ربما كانت تبحث عنك كما تبحث عنها أنت الآن ، فالشاطئ ممتد ، والأمل لا ينقطع .

ولم يسمع (صلاح) عبارته الأخيرة ، إذ أدار له ظهره ، وانطلق يركض فوق رمال الشاطئ باحثا عنها ، عله يلحق بها ..

وبقلبها ..

* * *

٦ - خائفة من الحب ..

لمحها (صلاح) وهى تسير بمحاذاة الشاطئ ، وقد أخذت تنقل نظراتها على استحياء بين رواد البلاج ، كما لو كانت تبحث عن شىء ما ، ووقف عدة لحظات يتأملها بإعجاب ، متسائلا :

- تُرى .. هل يمكن أن تكون هى الأخرى قد اهتمت به ، وأخذت تحاول العثور عليه ، كما فعل هو ؟

واقترب منها مناديًا :

- (إلهام) .

استدارت سريعًا لتنظرِ إليه فى دهشة ، جعلتها تتسمر فى مكانها عدة لحظات ، دون أن تنطق بكلمة واحدة ، ودنا منها قائلًا :

- إننى سعيد لأننا التقينا مرة أخرى .

خيل إليه أن نظرة الدهشة فى عينيها كادت تنقلب إلى ما ينم عن البهجة والارتياح ، ولكنها سُرعان ما وأدت ما يمكن أن يفصح عن هذا التعبير ، لتبدى بعض التحفظ ، قائلة :

- كيف عرفت اسمى ؟

ابتسم قائلًا :

- من الطبيعى عندما يهتم إنسان بآخر ، أن يحاول تعرّف اسمه .

قالت وهى متمسكة بتحفظها الظاهر :

- وما الذى يدعوك إلى الاهتمام بى ؟

(صلاح) :

- لك أجمل ضحكة رأيتها فى حياتى .

اصطنعت الغضب ، قائلة :

- هأنتذا تعود إلى المغازلة من جديد .. اسمع يا أستاذ ...

قاطعها ببرود :

- (صلاح) .. اسمى (صلاح) .

استطردت قائلة :

- يجب أن تعرف أن تصرفك هذا غير لائق .. إننى أعترف بالخطأ ، عندما سمحت لنفسى بالضحك وتجاذب الحديث معك أمس ، ولكن هذا لا يعطيك الحق فى مطاردتى على هذا النحو .

(صلاح) :

- أوّلا : إننى لم أقل ما يجرح مشاعرك ، ولا أفكر فى

مضايقتك مطلقًا .. لقد ألقيت سؤالًا وأجبت عليه بمنتهى الصدق والصراحة ، أم كنت تريدين منى أن أكـــذب عليك ؟ ..

ثانيًا : إننى لم أسع لمطاردتك ، بل أعتقد أن كلًا منا كان يبحث عن الآخر .

علا صوتها باستنكار ؟

ـ ماذا ؟ ... كيف سمحت لنفسك أن تتصور أننى كنت أحاول البحث عنك ؟ ولماذا ؟

أجابها بهدوء :

لأن كلا منا يكن شيئًا من الإعجاب للآخر .. بل إننى أعتقد أن مشاعرى نحوك تتجاوز حد الإعجاب ، وتلك أمور قدرية أى لا نسعى نحن إلى ترتيبها ، وإنما يرتبها القدر .

وردت عليه بسخرية :

ـ كم فتاة أسمعتها هذه الاسطوانة .

قال ووجهه ينطق بالصدق هذه المرة :

ـ (إلهام) .. أعرف أنك لاتصدقيننـــى ، وأن هذه الأشياء قد تبدو غير معقولة ، وفيها شىء من المبالغة ، ولكنك بالفعل لم تبرحى تفكيرى وخيالى منذ أمس ، وقد جئت إلى هنا بحثًا عنك ، وأنا أتمنى أن أراك ، وعندما

حدث هذا أحسست بسعادة كبيرة ، فإذا كان كل هذا لا يعنى بالنسبة لك شيئًا ، فسوف أذهب ولن ترينى فى طريقك مرة أخرى .

صمتت برهة ، قبل أن تقول بصوت خافت :

ما الذى تريده منى ؟

(صلاح) :

ـ أن تمنحينـــا فرصة .. مجـــرد فرصة للتحـــدث والتعارف .

عادت للصمت مرة أخرى ، ثم قالت :

ـ سأفكر .

وعلت الابتسامة وجه (صلاح) ، وهو يقول :

ـ إذن سيمكننى أن أدعوك لتناول طعام الغداء اليوم .

قالت متعجبة :

ـ قلت لك سأفكر ، ثم إننى أتناول الغداء دائمًا مع أبى .

(صلاح) :

ـ ما رأيك لو كانت الدعوى على العشاء ؟

قالت بدلال :

ـ لماذا تبدو لحوحا هكذا .. امنحنى فرصة للتفكير ؟

(صلاح) :

ـ إذن سأنتظرك غدا أمام كازينو الشاطئ ، فى تمام السابعة مساء ، فسوف يمنحك هذا فرصة كافية للتفكير .

(إلهام) :
ـ ولكن لا تعتبر هذا وعدًا منى بالحضور ، فأنا لم أقرر بعد ما إذا كان يمكننى مقابلتك أم لا .
(صلاح) :
ـ لن أفقد الأمل .
(إلهام) :
ـ والآن هل تسمح لى بالذهاب ؟
(صلاح) :
ـ لماذا لا تبقين قليلًا ؟ .. البحر اليوم رائع ، والطقس أكثر روعة .
(إلهام) :
ـ لقد تأخرت على أبى ، ولا أريد منه أن يقلق على .
مد يده مصافحًا ، وهو يقول :
ـ لا تنسى السابعة مساء ، أمام كازينو الشاطىء .. سأكون فى انتظارك .
مدت له يدها فى استحياء ، وما أن تلامست أيديهما حتى أحس (صلاح) بالحرارة تسرى فى جسده لملامسة هذه اليد البيضاء الناعمة ..

★ ★ ★

توقفت (إلهام) قليلًا أمام مدخل منزلها ، المطل على

الشاطىء ، وراحت تلوم نفسها على تماديها مع ذلك الشاب على هذا النحو ، وإلى الحد الذى تتفق معه على موعد للقاء والخروج بمفردها ، ولكنها سرعان ما هزت رأسها قائلة لنفسها :
ـ ولكن لم يحدث بيننا أى اتفاق حقيقى ، لقد قلت له : إننى سأفكر ، وهذا يعنى أننى غير ملتزمة بشىء .
وتقدمت عبر مدخل المنزل ، لتجد والدها جالسًا فى الحديقة ، وقد انشغل فى لعب الطاولة مع صديقه ، وعندما رآها مقبلة نحوهما لوح لها قائلًا :
ـ أهلًا يا (إلهام) .. تعالى لتشاهدى عمك (أمين) ، وهو ينال هزائم منكرة .
وحمدت الله على أنه لم يلحظ تأخرها ، وأن انشغاله بلعب الطاولة مع صديقه جعله يغفل عن حالة الارتباك التى تبدو عليها ، وتقدمت منهما مبتسمة ، وهى تقول لأبيها ، وقد أحاطت كتفه بساعدها :
ـ رفقًا بعم (أمين) يا بابا .
ضحك قائلًا وهو يلقى الزهر :
ـ وهل ترفق هو بى ، عندما هزمنى أمس ؟ .. لقد أطلق العنان للسانه اللاذع أمام كل من نعرفهم ، لمجرد فوز هزيل .

وقال صديقه بانفعال ، بدا كما لو كان حقيقيًا :

- وهل تسمى ثلاث هزائم متوالية فوزا هزيلا ؟

أجابه والدها :

- نعم .. وإلا فماذا تسمى هزيمتك فى خمس عشرات متوالية ؟

رد صديقه بتحد :

- سترى كيف سأعوض الهزيمة ، وأرد لك الصاع صاعين ، وبعد ذلك سأطلق العنان للسانى كما أشاء .

ابتعدت (إلهام) عنهما ، تاركة إياهما يتجادلان ، وقد استحوذت الطاولة على كل اهتمامهما ، فقد اعتادت أن تراهما على هذا النحو يتشاجران ، كما لو كانا عدوين ، كلما وُضعت الطاولة بينهما ، ثم لا يلبثان أن ينهضا صديقين عزيزين ، لا يقوى أحدهما على فراق الآخر ، ونظرت (إلهام) إلى والدها فى حنان وحب حقيقى ، وهى تؤنب نفسها قائلة :

- لم أعتد إخفاء شىء عن أبى ، ولكننى لا أعتقد أننى أستطيع أن أبوح له بما حدث بينى وبين ذلك الشاب ، فهو متشدّد فى مثل هذه الأمور ، على الرغم من الحرية التى يعطيها لى ، كما أننى لن أستطيع أن أخبره بالطبع أننى سأذهب للقائه مساء الغد .

وتسمرت فى مكانها ، وقد أحست بشىء من الغضب تجاه نفسها ، قائلة :

- لماذا أصر على أننى سألقاه فى ذلك الموعد الذى حدده ؟ .. لقد قلت : إننى غير ملتزمة تجاهه بأى شىء ، ولن أذهب لهذا الموعد ودلفت داخل شقتها ، وهى مصممة على ذلك ، ولكن بعد لحظات ، وعندما استرخت فوق فراشها ، تراجعت عن هذا التصميم ، وهى تتساءل :

- ولكن لماذا لا أذهب ؟ .. هل أنا خائفة من لقائه ؟ .. ولماذا الخوف ؟ .. إنه لا يبدو ممن يبعثون الخوف فى نفوس الآخرين .. بل إنه من ذلك النوع الذى يشعر المرء حياله بتآلف سريع .

ثم نهضت من فراشها ، لتنظر إلى نفسها فى المرآة ، قائلة :

- لماذا كل هذا اللف والدوران ؟ .. لماذا لا تواجهين نفسك بالحقيقة .. هذا الشاب يحوز إعجابك ، بل إنه أحدث أثرا سريعا فى نفسك ، منذ اللحظة الأولى التى رأيته فيها ، وهو شىء لم يحدث طوال حياتك ، مع كل من عرفتهم أو التقيت بهم ، وهذا هو نفس ما قاله لى اليوم .. بل إنه يتعين عليها أن تعترف أنها لم تحضر إلى الشاطئ اليوم خصيصا ، إلا للبحث عنه ، وأنها أحست بالأسف

لعدم رؤيتها له أسفل المظلة المجاورة ، فانطلقت تبحث عنه بين رواد الشاطىء ، هى حقيقة حاولت إخفاءها حتى عن نفسها ..

وسرعان ما تراجعت خطوتين إلى الوراء ، وهى تنظر إلى صورتها فى المرآة ، واضعة يديها على وجنتيها ، اللتين توردتا من شدة الاحمرار ، وقد أخذت تسأل نفسها :

ـ ولكن .. ما معنى هذا ؟

أحسّت بأن صورتها فى المرآة تحذرها قائلة :

ـ (إلهام) .. كونى حذرة مع نفسك ، فأنت تنزلقين إلى عاطفة مجهولة مع هذا الشاب .. عاطفة لم تعرفيها طوال حياتك من قبل .. عاطفة ربما جلبت لك السعادة ، وربما حكمت عليك بالشقاء .

واستعادت فى ذهنها كل القصص العاطفية ، التى قرأتها من قبل ، والتى تعاطفت خلال قراءتها مع جراح أبطالها ، وكل تلك القصص التى سمعتها من صديقاتها ، عن مشاعر الحب الخفية المبهمة وعذاباته وروعة اللقاء بين المحبين ، التى تبدأ من خلال موعد كهذا الذى ضربه لها ذلك الشاب ، ثم لوعة الفراق التى تنتهى دون موعد .

وقالت لنفسها ، وهى تستند إلى الجدار :

ـ ولكن ليست كل قصص الحب التى سمعتها أو قرأت عنها تنتهى بالفراق والشقاء .. هناك الكثير من القصص التى تحمل أجمل المعانى ، وتنتهى نهايات سعيدة .

وعادت تهز رأسها مرة أخرى ، وكأنها تنفض عنها هذه الأفكار قائلة :

ـ ما هذه الترهات .. الأمر لا ينطوى بلاشك على ما هو أكثر من الإعجاب .. نعم إنه مجرد إعجاب متبادل ، ويمكن ايقافه عند هذا الحد ، ولا داعى للتفكير فى كل هذه الأمور .

ولكنها أحست أن القدر يحمل لها ما هو أكثر من ذلك ، مع هذا الشاب الذى لم تلتق به سوى مرتين فقط ، وعلى الرغم من هذا فقد أصرت على ألا تتورط معه فى أى ارتباط ، كما أصرت على ألا تذهب للقائه فى الموعد الذى حدده لها ، وعلى الرغم من هذا أيضا ، فقد انتقت أجمل ثوب لديها فى اليوم التالى ، ووقفت أمام المرآة تتأمل نفسها قبل الموعد بساعة واحدة .. استعدادا للذهاب إليه .

* * *

٧ ـ شىء قدرى ..

استقبلها عل باب الكازينو ، قائلًا :

ـ كنت أعرف أنك ستأتين .

قالت وقد استفزتها عبارته :

ـ وما الذى جعلك متأكدا هكذا ؟

(صلاح) :

ـ إحساسى .

(إلهام) :

ـ لم أكن أنوى الحضور .

(صلاح) :

ـ ولكنك جئت .. وهذا هو المهم .

وتأملها (صلاح) ، وفى عينيه نظرة إعجاب واضحة ، قائلًا :

ـ تبدين فاتنة .

تضرجت وجنتاها بالاحمرار ، وهى تخفض عينيها إلى أسفل ، وقال لها (صلاح) ، وهو يدعوها لكى تدخل الكازينو ، قائلًا :

ـ هل سنظل واقفين هكذا ؟ .. تفضلى .

جاءت دعوته هذه لتنقذها من حرجها ، فتقدمت تسبقه إلى الداخل بخطوات متسرعة .

قدم لها كوب العصير ، قائلًا :

ـ هل رفقتى مزعجة إلى هذا الحد ؟

تطلعت إليه قائلة :

ـ لم تقول هذا ؟

(صلاح) :

ـ لقد مر علينا أكثر من ربع ساعة ، لم تتفوهى خلالها سوى ببضع كلمات ، فى حين أتحدث أنا طوال الوقت .

ردت عليه قائلة :

ـ معذرة .. إنها المرة الأولى التى أخرج فيها مع شخص غريب .

ابتسم قائلًا :

ـ من يراك وأنت تضحكين بشقاوة على البلاج ، ثم وأنت تجادليننى بحدة أمس ، لا يتصور أنك الفتاة الخجولة الجالسة أمامى الآن .

(إلهام) :

ـ لست خجولة ، ولكننى أشعر أن تصرفى هذا غير لائق ، فما كان يجب أن أتمادى معك إلى هذا الحد ، كما أن لدى إحساسًا قويًا بالذنب .

(صلاح) :

- وما الداعى لكل هذا ؟ .. ما بيننا شىء برىء جدًا ، كما أننى لست ممن يتجاوزون الحدود مع مدعويهم ، أم أنك ترين أننى لا أستحق ثقتك ؟

(إلهام) :

- إننى لم أعتد إخفاء شىء على أبى ، وأشعر بالذنب لأننى كذبت عليه ، بشأن لقائنا هذا .

(صلاح) :

- اذن كان يتعين عليك أن تخبريه .

(إلهام) :

- بهذه البساطة .. إنك لا تعرف أبى ، فهو دائم التحذير لى من أمثالك .

نظر إليها بدهشة ، قائلا :

- من أمثالى ؟! .. ماذا تظنيننى ؟

اعتذرت قائلة :

- آسفة .. يبدو أننى أتمادى فى ارتكاب الأخطاء اليوم .. ولكن ...

قاطعها قائلا :

- اسمعى يا (إلهام) .. إننى أقدر شعورك ، فنحن لم نتعارف إلا منذ يومين فقط ، وهناك الكثير من المحاذير

التى تحيط بتعارف سريع كهذا ، ولكن عليك أن تثقى بى قليلا ، وتتخلصى من هذه المشاعر المضطربة .. قد أكون غريبا بالنسبة لك ، ولكنك لا تبدين غريبة مطلقًا بالنسبة لى ، وهذا شعورى منذ وقعت عيناى عليك ، كما أننى لن أقول مثلك : إنها المرة الأولى التى أخرج فيها مع فتاة ، فقد عرفت وخرجت مع الكثيرات ، ولكنها المرة الأولى التى ينتابنى فيها هذا الاحساس القوى ، الذى يشدنى إليك ، ويدفعنى الى التفكير فيك طوال الوقت ، والتعلق بك وكأننى أعرفك منذ فترة طويلة .

ثم نظر إليها بعينين صادقتين ، قائلا :

- هل تصدقيننى يا (إلهام) ؟

وجدت نفسها ترد عليه بطريقة آلية وصوت خافت ، وكأنها منومة تنويما مغناطيسيًا ، قائلة :

- نعم .. أصدقك .

وفجأة وجدت نفسها تقول بطريقة طفولية ، وبفضول الأنثى :

- كم فتاة خرجت معها من قبل ؟

ضحك قائلا : وهو يراقب تورد وجنتيها من الخجل :

- لا أذكر العدد .. كما لا أذكر أيا منهن الآن ، ولا

تحاولى أن تعقدى مقارنة بينك وبينهن . فأنت مختلفة تماما عن الأخريات .

وقطع الصمت الذى ران بينهما للحظات ، قائلا :

ـ (إلهام) .. حدثينى عن نفسك .

(إلهام) :

ـ ما الذى تريد معرفته عنى ؟

(صلاح) :

ـ كل شىء .

(إلهام) :

ـ ليس فى حياتى شىء يشد الانتباه .. لقد توفيت والدتى وأنا بعد طفلة صغيرة ، لا يتجاوز عمرى التسع سنوات . وتولى أبى رعايتى حتى هذه اللحظة ، وبعد أن انتهيت من دراستى الجامعية ، وهو يقوم بهذا بكل حب وإخلاص وتفان .

(صلاح) :

ـ هل تعملين ؟

(إلهام) :

ـ نعم .. أعمل مهندسة ديكور .. لقد استلمت العمل العام الماضى فقط ، فى أحد المكاتب الصغيرة ، ولدى دائرة قليلة من الأصدقاء ، وأبى لديه مكتب محاماة ، واسمه

معروف فى المحاكم ، وهو بالنسبة لى صديق عزيز قبل أن يكون والدا .

ابتسم (صلاح) قائلا :

ـ من الواضح أنك متعلقة بأبيك إلى درجة كبيرة ، فأنت تذكرينه دائما .

(إلهام) :

ـ إنه يستحق ذلك ، فأبى يستحق التقدير فى كل شىء .. فى اخلاصه لذكرى والدتى الراحلة ، الذى جعله لا يتزوج حتى الآن ، وفى التزامه بعمله ، وفى رعايته لى ، والعمل على تنشئتى أفضل تنشئة ، وفى أشياء كثيرة لا أستطيع أن أحصيها .

وصمت قليلا ، وهو يتأملها بإعجاب ظاهر ، وهى تتحدث إليه ، وعادت وجنتاها إلى توردهما ، فقالت بابتسامة خجولة :

ـ هل ستظل تحدق فىّ هكذا ؟

أسند (صلاح) ذقنه إلى قبضته ، وقد وضع مرفقه على المائدة ، دون أن يرفع عينيه عنها ، قائلا :

ـ أنا أيضا أرى أنك تستحقين ذلك ، فعندما يجلس المرء أمام فتاة تملك كل هذا القدر من الجمال مثلك ، لا يملك سوى أن يبقى محدقا فيها من شدة الإعجاب .

قالت بصوت خجول ، وإن كان ينم عن أن كلماته قد مست وترا فى قلبها :

- كم فتاة ممن التقيت بهن قلت لهن مثل هذه الكلمات ؟ ..

ارتسمت عليه ملامح الغضب ، وهو يقول :

- هأنتذى تعودين فتشبهين نفسك بالأخريات .. إذن فأنت لم تصدقيني فيما قلته لك ، من أنك تختلفين بالنسبة لى عن أية فتاة أخرى عرفتها ، على الرغم من أنك قلت إنك تصدقينني .

(إلهام) :

- إنني أتحدث عن تلك الكلمات التى رددتها على مسامعى الآن .

(صلاح) :

- وأنا أتحدث عن الصدق فيما أقوله لك .. هناك فرق بين الكلمات التي ينطقها اللسان فقط ، وتلك التى تخرج من القلب .

(إلهام) :

وكيف لى أن أعرف ؟

(صلاح) :

-- ما يخرج من القلب لابد أن يصل إلى القلب .

وصمت قليلا قبل أن يقول :

- إلا إذا كان موصدًا ، أو يسكنه شخص آخر .

قالت فى استحياء :

- قلت لك إننى لم أعرف أحدا قبلك .. أعنى لم أعرفه إلى الدرجة التى تدعونى إلى الخروج معه فى مكان عام .

لمست أنامله أصابعها ، وهو يقول لها :

- وأنا أصدقك .. وبدون أية شكوك .. ليتك تصدقينني أنت أيضا بنفس القدر .

وأسرعت بإبعاد أصابعها بعيدًا عنه ، وهى تقول :

- وأنت .. ألا تريد أن تحدثنى عن نفسك ؟

(صلاح) :

- إننى أعمل مفتشا جمركيا فى (الإسكندرية) ، وأنا أيضا فقدت أبى فى سن مبكرة ، وتبادلت أنا وأمى رعاية بعضنا البعض .. أنا فى الصغر وهى فى الكبر .. لقد أصبحت تقريبا كل شىء فى حياتى ، هى وابنة خالتى تربيت معها من الصغر ، وأعتبر نفسى مسئولا عنها ، خاصة بعد أن فقدت والديها .. ولا شىء عدا ذلك .

(إلهام) :

- إذن فأنت تعمل فى (الاسكندرية) .

(صلاح) :

- نعم .. برغم أننى من مواليد (القاهرة) .
(الهام) :
- إننى أقيم مع أبى ، فى أحد ضواحى (مصر الجديدة) .
(صلاح) :
- إذن فنحن جيران ، فأنا أقطن مع والدتى فى منطقة حدائق القبة .

ونظرت (الهام) فى ساعتها فجأة ، قائلة :
- ياه .. لقد تأخرت .. يجب أن أنصرف .
(صلاح) :
- ولكن الوقت ما يزال مبكرًا .
(الهام) :
- لقد وعدت أبى ألا أتأخر .
(صلاح) :
- أرجوك .. ابقَ قليلًا .
قالت وهى تنهض واقفة :
- لا أستطيع أن أتأخر أكثر من ذلك .
(صلاح) :
- انتظرى إذن سأدفع الحساب وآتى لتوصيلك .
(الهام) :
- لا داعى لذلك .. سآخذ سيارة أجرة .

(صلاح) :
- أرجوك .. لا تحرمينى من أن أوصلك حتى باب الكازينو على الأقل .

ودفع الحساب ، ثم اصطحبها إلى خارج الكازينو ، حيث قال لها بامتنان حقيقى :
- (إلهام) .. لقد منحتينى سعادة حقيقيةً بتلبيتك دعوتى .

تجرأت قليلا على النظر فى عينيه ، وقد أحست باضطراب حقيقى فى مشاعرها ، ثم ما لبثت أن خفضت عينيها ، قائلة :
- أمس ، وقبل أن أحضر إليك بساعة واحدة ، كنت قد عقدت العزم على ألا أحضر لمقابلتك ، ولكننى لا أدرى ما الذى جعلنى أتراجع عن هذا القرار ، حتى وجدت قدمى فى النهاية تقودانى إليك .
(صلاح) :
- قلت لك من قبل : إننى أشعر بأنه هناك شىء قد جمع بيننا .

مدت يدها مصافحة ، فتناولها فى راحته الدافئة ، قائلا :
- سنتقابل مرة أخرى يا (إلهام) .. أليس كذلك ؟

قالت ، وقد أحست برجفة من ملامسة يدها ليده :

ـ لا أدرى ...

ولكنه قاطعها ، قائلا :

ـ غدا على الشاطىء ، فى نفس المكان الذى تقابلنا فيه من قبل .

(إلهام) :

ـ ولكن ...

(صلاح) :

ـ ستأتين .

وأشار لسيارة أجرة ، توقفت إلى جوارهما ، حيث فتح لها الباب ، وعاد يكرر :

ـ سنلتقى غدًا .

قالت وهى تستقل السيارة ، دون أن تجيب على عبارته :

ـ أشكرك على تلك الدعوة .

وانصرفت وقلبها يرتجف ..

يرتجف فى شدة .

★ ★ ★

٨ ـ وعد بالحب ..

مضت الأيام لتزيد ارتباط (إلهام) و (صلاح) ، وأصبحت (إلهام) أكثر خروجًا بحجج مختلفة تخترعها لأبيها ، منذ عرفت (صلاح) ، فقد أصبحا يقضيان معظم الوقت معًا ، يتنزهان على الشاطىء ، ويرتادان متنزهات (الإسكندرية) المختلفة .. وتحقق كل ما خمّنه كلّ منهما بالنسبة للآخر ..

لم يكن الأمر مجرد إعجاب أو نزوة صيف ..

لقد جمعهما الحب بكل معانيه ..

الحب الذى لم يعرفه أحدهما من قبل ..

وأحس كل منهما أنه لم يعد يستطيع الاستغناء عن الآخر ، ومع تعمق العلاقة بينهما ، أخذ كل منهما يروى للآخر كل جزء ولو يسير من حياته الماضية والحاضرة ، وأحلامه وطموحه بالنسبة للمستقبل ، وذات يوم ، وهما يتنزهان فوق رمال الشاطىء ، قالت له (إلهام) بخجل :

هل تذكر ذلك اليوم الذى ناديتنى فيه على الشاطىء ؟

(صلاح) :

ـ نعم .. لقد انطلقت أركض فوق الرمال فى ذلك اليوم ؛ لأبحث عنك ، وأنا أنقب عن وجهك الجميل بين رواد الشاطىء .

(إلهام) :

ـ هل أخبرك بسر ؟

(صلاح) :

ـ إذا أردت ذلك .

(إلهام) :

ـ أنا أيضا كنت أبحث عنك .

قال (صلاح) ، وفى عينيه نظرة متخابثة :

ـ كنت أعرف ذلك .

قالت بدلال ، وهى تضربه بقبضتها الرقيقة فى رفق على كتفه :

ـ أيها المغرور .. هذا ليس ادعاء ، فكيف يتأتى لك ان تعرف .

ابتسم (صلاح) قائلا :

ـ لقد رأيتك يومها تتلكئين فى خطـواتك علـى الشاطىء ، وعيناك تبحثان بين المصطافين عنى ، حتى (جابر) حارس الشاطىء أدرك ذلك .

أطرقت قائلة بخجل :

ـ ما كان يجب أن أخبرك بهذا .

رفع وجهها إليه بأنامله ، وهو ينظر إلى عينيها ، قائلا :

ـ لم تعد بيننا حاجة لإخفاء مشاعرنا ، فكلانا يعرف الآن أن مشاعره قد استسلمت للآخر ، منذ اللحظة الأولى ، ودون أن ندرى حتى بذلك .

ضحكت قائلة بشقاوة :

ـ ولكنى لم اوقع لك بعد وثيقة الاستسلام .

ابتسم قائلا :

ـ ولكننى أرى التوقيع واضحا ومعتمدا فى نظرات عينيك .

وتركته يلف ساعده حول كتفيها ، وهو يقودها إلى بقعة هادئة من الشاطىء ، حيث ألقى كل منهما جسده فوق الرمال ، وما لبثت أن التفتت إليه ، قائلة بلهجة السؤال :

ـ (صلاح) .. إنك تحصل على إجازات أسبوعية .. أليس كذلك ؟

(صلاح) :

ـ بالطبع .

(إلهام) :

ـ ولماذا لم تحاول الذهاب إلى (القاهرة) ، فى إحدى هذه الاجازات ، لزيارة أسرتك ؟

التفت إليها باسمًا ، وهو يقول :

ـ ما هذا .. أتحاولين التخلص منى .

ولكن (إلهام) قالت بجدية :

ـ لا .. لقد قلت لى من قبل مدى الصلة التى تربط بينك وبين والدتك ، وأعتقد أن ثلاثة أسابيع فترة طويلة لكى يحرم كلاكما من رؤية الآخر ، خاصة أن المسافة فى القطار لا تتجاوز الساعتين .

نظر إليها (صلاح) بحب وتقدير ، قائلًا :

ـ يا لك من فتاة رائعة ! إنك تحثيننى على القيام بواجبى تجاه أمى ، فى تلك اللحظات التى كان يتعين عليك فيها الانشغال بنفسك .. لقد عرفت منذ توطدت علاقتى بك ، أنك نست من ذلك النوع الأنانى .

قالت (إلهام) ، وهى تحتوى ساقيها بين ساعديها :

ـ إننى لا أرضى أن أكون سببًا فى أن تنسى مسئوليتك تجاه أمك .

اعتدل (صلاح) فى جلسته ، وهو يحتوى ساقيه بساعديه ، أيضًا ، وقد شرد بعينيه فى اتجاه الأمواج المتلاطمة ، قائلًا :

ـ إنك لم تشغلينى عن التفكير فى أمى ، وعن رغبتى فى رؤيتها ، ولكن المشكلة ليست فى سفرى لرؤيتها ، وإنما المشكلة الحقيقية تكمن فى (نهى) .

نظرت إليه (إلهام) ، قائلة :

ـ ابنة خالتك ؟!

(صلاح) :

ـ نعم .

(إلهام) :

ـ وما المشكلة التى تسببها لك ابنة خالتك ؟

نظر إليها (صلاح) فى صمته ، وقد بدا عليه التردد ، واستحثته (إلهام) على التكلم ، قائلة :

ـ (صلاح) .. لماذا لا تجيبنى ؟

سرعان ما تخلص (صلاح) من تردده ، قائلًا :

ـ سأخبرك .. فقد اتفقنا على ألا يخفى أحدنا شيئًا عن الآخر .

وروى لها (صلاح) كل ما كان بينه وبين (نهى) ، ذكرياته معها منذ الطفولة .. ظروفها النفسية .. الأحداث التى مرت بها أخيرًا .. حبها الجارف له ، وتعلقها المرضى به ، وإحساسه بالمسئولية والذنب تجاهها ، وبعد أن انتهى من قصته ، صمتت (إلهام) بضع لحظات ، قبل أن تقول :

ـ ولكن الهروب لن يحل المشكلة .

(صلاح) :

- وماذا أفعل ؟
(إلهام) :
- واجه الأمر بحسم .. أخبرها أن العلاقة بينكما لن تزيد فى يوم من الأيام عن علاقة القربى ، ورابطة الصداقة القوية .
(صلاح) :
- حاولت أن أفهمها ذلك بشتى الطرق ، ولكنها مندفعة فى مشاعرها نحوى ، إلى حد يجعلها غير مستعدة للفهم ، أو تقبل الأمر .
(إلهام) :
- لقد فتحت لها بابًا للأمل ، قبل أن تحضر إلى (الإسكندرية) ، وهى مازالت متعلقة بهذا الأمل .
(صلاح) :
- لقد طلبت منها أن يكون كل منا متحرِرًا ، من أى التزام يربطه تجاه الآخر ، وأن يمنح نفسه فرصة حقيقية لاختبار مشاعره ، دون أية مؤثرات .
(إلهام) :
- ولكنك لم تعطها إجابة حاسمة ، بشأن هذا الاختبار .
(صلاح) :
- لقد تصورت أن الإجابة قد وصلتها دون حاجة إلى

شرح ، فبعد مرور أكثر من شهر على انتقالى إلى (الإسكندرية) ، لم يحدث أى تحول فى مشاعرى أو سلوكى نحوها، وهو ما يعنى أنها ستبقى بالنسبة لى دائما ابنة خالتى ، وبمثابة أخت لى فقط .
(إلهام) :
- إنها ترى كل ذلك ، ولكنها ترفض أن تصدقه ، وتصر على أن تبقى معلقة بأمل كاذب ، وأعتقد أن هذا أيضا واضح لك ، من خلال نظراتها وسلوكها معك ، على الرغم من أنه لم يعد مباشرًا ، كما كان من قبل .
(صلاح) :
- وهذا ما يقلقنى .
(إلهام) :
- إذن عليك أن تكون حاسمًا فى توضيح الأمر بالنسبة لها .
(صلاح) :
- ولكننى أخشى أن أجرح مشاعرها ..
(إلهام) :
- سيكون هذا أفضل لكليكما .
(صلاح) :
- معك حق .. سأذهب إلى (القاهرة) الأسبوع القادم .

وأضع الأمور فى نصابها الصحيح ، ومهما كانت النتائج ، فهذا أفضل .

قالت (إلهام) بنبرة ذات مغزى :

ـ هل ستفعل ذلك بالنسبة لـ (نهى) فقط ؟

نظر إليها بدهشة ، قائلا :

ـ ماذا تعنين ؟

حدقت فى وجهه بتمعن ، قائلة :

ـ أعنى ...

وحولت وجهها تجاه الأمواج ، مستطردة :

ـ لاشىء .

أمسك (صلاح) ساعدها ، قائلا :

ـ (إلهام) .. ماذا تريدين أن تقولى ؟

عادت تنظر إليه مرة أخرى ، قائلة :

ـ أريد أن أقول : ماذا بشأننا يا (صلاح) ؟ لقد بدأ أبى ينتبه للأمر ، خاصة مع خروجى المتكرر ، والساعات الطويلة التى نقضيها معا ، وأبى رجل لا يفتقر إلى الذكاء ، ولا أشك فى أنه قد بات يفهم كل شىء ، وقد حاول أن يحدثنى بشأن خروجى المتكرر ، وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة .

إنه حتى الآن يعتمد على ثقته بىَ ، ولا يريد أن يمارس

معى حقوقه كأب ، من حقه أن يتساءل عن تلك التغييرات التى ألمت بابنته ، وأن يمنعها من الخروج الذى بات متكررا وبصفة دائمة ، ولساعات طويلة خارج المنزل ، وأنا من ناحيتى لا أرغب فى خيانة ثقته بى أكثر من ذلك .

(صلاح) :

ـ إننا لا نرتكب أية أخطاء ، يمكن أن نخجل منها ، فحبنا لا تشوبه شائبة .

(إلهام) :

ـ إخفاء حقيقة تلك العلاقة عنه تعد فى حد ذاتها خطأ .

(صلاح) :

ـ إذن أخبريه بالحقيقة .

نظرت إليه فى دهشة ، قائلة :

ـ بماذا تريد منى أن أخبره ؟ .. بأننى تعرفت شابا منذ عدة أسابيع ، وأننى أخرج معه كل يوم تقريبا .. وأننى .. وأننى ..

ابتسم (صلاح) ، وهو يراقب تورد وجنتيها ، قائلا :

ـ هيا أكملى وأنك ماذا ؟ هل تخجلين من قولها ؟ .. وأنك تحبينه .. كم أحب أن أرى تورد وجنتيك على هذا النحو ، وأنت عاجزة عن مقاومة خجلك .

وتخلصت (إلهام) من خجلها ، قائلة :

- يبدو أنك تأخذ الأمر باستخفاف يا (صلاح) .

قال (صلاح) بجدية :

- من قال هذا ؟ .. إننى أريد بالفعل أن تخبريه بكل شىء .. قولى له : إننى أحببتك خلال الأسابيع الماضية ، وكأننى أعرفك منذ سنوات طويلة ، وأننى لم أعد قادرا على الاستغناء عنك ، أو عن تصور حياتى بدونك ، وقولى له أيضا : أن يحدد لى موعدا ، قبل ذهابى إلى (القاهرة) ، لكى أحضر معى والدتى ، ونأتى لمقابلته ، لكى نطلب منه يد ابنته .

تهلل وجهها بالفرحة ، وهى تهتف قائلة :

- حقا يا (صلاح) .

وأحست بالخجل ؛ لأنها أعلنت عن فرحتها بهذه الطريقة الصريحة ، فتمالكت نفسها ، وهى تقول بدلال :

- ألا تسألنى رأيى أولا ، فيما إذا كنت أرغب فى الزواج منك أم لا ؟

نظر إليها بتخابث ، قائلا :

- حقا .. وهل أنا بحاجة إلى مثل هذا السؤال ؟

استمرت فى دلالها ، قائلة :

- هل أنت واثق من نفسك إلى هذا الحد ؟

(صلاح) :

- لك عينان لا تكذبان أبدا . وهما تسبقان لسانك دائما فى الجواب .

أزاحت خصلات شعرها عن جبينها ، قائلة :

- وماذا قالت لك عيناى ؟

(صلاح) :

- قالت : إننا سنكون أسعد زوج وزوجة ، ما دمنا نملك كل هذا القدر من الحب . الذى جمع بيننا .

وتشابكت أصابعها بأصابعه ، وهى تقول هامسة :

- أعدك بأن هذا الحب لن يزول من قلبى أبدا ، وبأننى سأعمل دائما على إسعادك ، وأكون لك نعم الزوجة المحبة المخلصة ..

أعدك يا (صلاح) ..

أعدك .

* * *



٩ - جنون الحب ..

كانت (نهى) جالسة أمام مكتبها تستذكر دروسها ، عندما سمعت صوته بالخارج ، وهو يقول لوالدته :

- ست الحبايب .. لقد أوحشتنى للغاية .. ما أخبار صحتك .

وارتجفت (نهى) فوق مقعدها ، وقد سقط منها القلم ، وهى تهتف بصوت تكتنفه فرحة طاغية :

- (صلاح) :

وأسرعت تغادر غرفتها ، وقد تهلل وجهها بالسعادة ، مرددة :

- (صلاح) :

كان (صلاح) مستسلما لأحضان وقبلات أمه ، التى أخذت تعاتبه قائلة :

- كل هذه المدة يا (صلاح) .. تغيب عنا كل هذه المدة الطويلة ، دون أن نراك .

أخذ (صلاح) يعتذر لها قائلا :

- لم يكن الأمر بيدى يا أمى .. إنها ظروف العمل ..

ردت عليه قائلة :

- ألم تكن هناك عطلات أسبوعية ؟ .. لقد كنت أنوى أن أذهب إليك أنا و (نهى) .

(صلاح) :

- ولكننى كنت أطمئن عليكما تليفونيًا .. أليس كذلك ؟

استمرت أمه فى عتابها ، قائلة :

- وهل تظن أن التليفون يمكن أن يطفىء حنين أم لابنها ؟

(صلاح) :

- على كل حال ، عندما تعرفين الخبر الذى أحمله معى ، ستسامحيننى .

ولمح ابنة خالته وهى واقفة على أعتاب غرفتها تنظر إليه ، وفى عينيها حنين جارف ، فابتسم لها قائلا :

- (نهى) .

وبدون أن تدرى ، وجدت نفسها تندفع إليه ، لتلقى بنفسها فوق صدره ، وهى تطوقه بعينيها ، مرددة :

- لقد أوحشتنى كثيرا يا (صلاح) .. كنت أفتقدك بشدة ..

وفوجىء (صلاح) بتصرفها هذا ، فأحس بشىء من الحرج والارتباك ، وهو يراها تحتضنه على هذا النحو ،

وسرعان ما أدركت (نهى) أنها قد تصرفت بحمق ورعونة ، فأبعدت ذراعيها ، وقد أصابها هى الأخرى بعض ما أصابه من حرج ، قائلة بصوت خافت :

ـ آسفة .. لقد فعلت هذا دون وعى منى .

أسرعت خالتها تنقذها من حرجها ، وتعيد الأمور الى نصابها . قائلة :

ـ إنك لم تفعلى شيئًا يستحق كل هذا الارتباك ، فكلانا كان يفتقد (صلاح) بشدة ، وهو فى النهاية ابن خالتك ، وفى مقام أخيك الكبير .

تناول (صلاح) يدها بين راحتيه ، قائلا :

ـ ما أخبارك يا (نهى) ؟

اجابته قائلة ، دون أن ترفع عينيها عن وجهه ، وكأنها تعوض نفسها عن الأيام التى حرمت خلالها من رؤيته :

ـ أنا بخير .. كيف حالك أنت ؟

ألقى (صلاح) بجسده فوق أحد المقاعد ، قائلا :

ـ أنا على خير ما يرام .

جلست (نهى) على المقعد المجاور له ، قائلة بصوت مازال يحمل نبرة التأثر لرؤيته :

ـ أهى ظروف عملك حقًا ، التى منعتك من الحضور الى (القاهرة) ؟

(صلاح) :

ـ بالطبع .. وماذا كنت تظنين إذن ؟ .. أخبرينى أنت .. هل بدأت تستذكرين دروسك بالجامعة وتحضرين المحاضرات ؟

(نهى) :

ـ نعم .. لقد التزمت بذلك ؛ لأنك طلبته منى فى اتصالك التليفونى .

(صلاح) :

ـ حسن .. إننى مسرور لذلك .

(نهى) :

ـ ولكننى لا أعرف ما إذا كنت سأستطيع التقدم للامتحان هذا العام أم لا .

(صلاح) :

ـ أنا واثق من أنك ستفعلين وستجتازين الامتحان بنجاح .

(نهى) :

ـ ولكننى بدأت متأخرة ، وفاتنى الكثير من المحاضرات .

(صلاح) :

ـ سيمكنك تعويض ذلك .. أنا أثق من قدراتك وذكائك ، وتأكدى من أننى سأكون سعيدًا للغاية ، عندما أعرف أنك قد حصلت على البكالوريوس هذا العام .

قالت وعيناها مازالتا معلقتين به :
- إذن سأفعل هذا ، مادام سيسعدك .
رأى (صلاح) تلك النظرة الهائمة فى عينيها ، فأشاح بوجهه نحو أمه ، هربًا .. قائلًا :
- إننى فى شدة الشوق والجوع لطعامك الشهى يا ست الحبايب .
ربتت أمه على ظهره فى حنان ، قائلة :
- حالًا يا حبيبى .. ستكون المائدة معدة بمجرد أن تبدل ثيابك .
وقفزت (نهى) عن مقعدها ، قائلة :
- سيكون جاهزًا قبل أن تنتهى من تبديل ثيابك .. سأحضره لك بنفسى .

* * *

فى مساء اليوم التالى ، طرق (صلاح) باب حجرة أمه ، ثم دلف إلى الداخل فى هدوء ، حيث وجدها مستلقية فوق الفراش ، وقد تدثرت بالأغطية ، وأسندت ظهرها إلى مسند سريرها ، وهى تتلو بعض الآيات القرآنية ، وما إن رأته حتى ابتسمت له فى حنان ، قائلة :
- (صلاح) .. تعال يا حبيبى .
وأفسحت له مكانًا إلى جوارها على السرير ، حيث جلس فى مواجهتها ، وهو يقول :

- الحمد لله .. كنت أخشى أن أجدك نائمة .
سألته أمه قائلة :
- هل تريد شيئًا يا حبيبى ؟
(صلاح) :
- إنك لم تسألينى بعد عن الخبر الذى أحمله لك ، والذى قلت لك : إنه سيجعلك تغفرين لى عدم حضورى طوال الفترة الماضية .
سألته أمه بلهفة قائلة :
- ترى ما هذا الخبر ؟ .. يبدو أن هذا الخبر سيحمل شيئًا سارًا بالنسبة لى .
(صلاح) :
- نعم .. سيسرك جدًا .. قولى لى أولًا ، هل تحسنت حالة قدميك الآن .. أعنى هل تخلصت من المتاعب الروماتزمية التى كانت تؤلمك ؟
أجابته أمه قائلة :
- إلى حد كبير ، فقد أتى العلاج بنتيجة طيبة خلال الأسبوعين الماضيين ، ولكن ما علاقة هذا بالخبر الذى قلت إنك تحمله معك .
(صلاح) :
- علاقته أنك ستضطرين للسفر معى إلى (الإسكندرية) بعد يومين .

نظرت إليه أمه بدهشة ، قائلة :

ـ أسافر معك .. ولكن لماذا ؟

(صلاح) :

ـ لتخطبى لى أجمل إنسانة رأتها عيناى .. الفتاة الوحيدة التى عرف معها قلبى معنى الحب .

هلّلت أمه بفرحة ، وهى تحتضنه قائلة :

ـ حقًا يا (صلاح) .. هذا أجمل خبر سمعته فى حياتى .

وسمع (صلاح) صوت زجاج يتهشم بالخارج ، فأسرع يفتح باب الحجرة ، حيث وجد (نهى) واقفة أمام الباب كالتمثال البارد ، وقد تناثرت العديد من القطع الزجاجية تحت قدميها ، وفوجئ برؤيتها ، فسألها قائلًا :

ـ (نهى) .. ماذا حدث ؟

قالت بوجه شاحب وعينين زائغتين :

ـ آسفة .. لقد أتيت لأقدم الدواء لخالتى ، ولكن الكوب سقط منى .. و ... و ...

ولم تستطع أن تكمل جملتها ، فاستدارت سريعًا ، وهى تركض مبتعدة عن المكان .

ونظر (صلاح) إلى أمه ، وملامح القلق والحيرة بادية على وجهه ، وقالت له أمه فى انزعاج :

ـ مسكينة (نهى) .. لابد أنها سمعت كل شىء .

اطرق قائلا :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

ولكنه رفع رأسه ناظرا إلى أمه ، وهو يقول وكأنه يحاول أن يدفع عن نفسه إحساسه المباغت بالذنب :

ـ ولكن ربما كان هذا أفضل .. كان عليها أن تواجه الحقيقة ذات يوم .. لقد حاولت أن أفهمها أكثر من مرة ، أن مشاعرى نحوها لم تتعد مشاعر أخ نحو أخته ، و ...

قالت أمه :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أن تلحق بها ، فلا أدرى أى ضرر يمكن أن تلحقه بنفسها ، وهى فى هذه الحالة .. أنت تعرف حالة (نهى) يابنى .

(صلاح) :

ـ معك حق يا أمى .

واندفع ليلحق بها فى حجرتها ، حيث وجدها واقفة فى إحدى زوايا الحجرة ، وقد أسندت كتفها للجدار ، وبدا من الواضح أن جميع أعضاء جسدها مشدودة ومتوترة ، وعندما اقترب منها أغمضت عينيها بإحكام ؛ حتى لا يرى دموعها ، فوقف حائرا إلى جوارها عدة لحظات ، لا يدرى ماذا يقول ، ثم تشجع وهو ينظر إلى ملامح وجهها المتقلص ، قائلا :

- لقد سمعت ما دار بينى وبين والدتى .. أليس كذلك ؟

لم تجبه ، بل بقيت واقفة على نفس الوضع الذى رآها عليه كالتمثال الجامد ، فعاد يقول :

- ألا يتعين عليك أن تفرحى لابن خالتك ؟

تحوّلت إليه قائلة بمرارة :

- أفرح ؟! .. يالقسوة مشاعرك ! .. أبعد كل هذه الأسابيع التى غبت فيها عنى ، وظللت أحسبها بالساعة .. بل بالدقيقة ، فى انتظار اللحظة التى تعود فيها ، كنت أتعذب كل يوم لفراقك ، وكنت أعزى نفسى بالأمل .. الأمل فى أن تعود ذات يوم ، لتقول لى إنك أنت أيضًا عانيت من ابتعادنا عن بعضنا ، وإنك أدركت قيمة حبى لك ، وأن كلا منا لم يخلق إلا للآخر ، الأمل الذى زرعته أنت فى نفسى قبل رحيلك .. كنت أحلم بهذه اللحظة .. أتخيلها .. وأرقص من السعادة وأنا أعيش هذا التخيل ، ثم أعود فأقول لنفسى إننى يجب ألا أتعجل الأمر ، ربما لن يحدث هذا بعد عدة أسابيع ، ربما أحس بى بعد عدة أشهر ، بل بعد عدة سنوات .. يجب أن أصبر وألا أتعجل تحقيق هذا الحلم ، ولكن علىّ ألا أفقد الأمل .. وكنت مستعدة أن أصبر .. سنوات وسنوات .. فقط لا أريد أن أصحو ذات يوم ، وقد فقدت هذا الأمل .. لا أريد أن أنام

ليلة دون أن أعيش هذا الحلم .. واليوم جئت لتنزع منى هذا الأمل .. اليوم أراك وقد حطمت حلمى الجميل .. اليوم جئت لتقول إنك أحببت فتاة أخرى ، وتنوى الزواج منها .

وتعالى نحيبها ، وهى تقول بكلمات متشنجة :

- لقد حطمت آمالى وأحلامى .. حطمت كل شىء .. كل شىء يا (صلاح) .

دنا منها ليمسك كتفيها بيديه ، قائلًا :

- لا تظلمينى يا (نهى) .. إننى لم أعطك هذا الأمل المزعوم ، ولم أفرض نفسى على أحلامك .. ألم نتفق ، قبل رحيلى إلى (الإسكندرية) ، على أن نعطى مشاعرنا الفرصة والحرية فى الاختيار ، دون أن يلتزم أحدنا تجاه الآخر بشىء .. ليس ذنبى أن مشاعرى نحوك لم تختلف ، فمازالت هى نفس مشاعر المودة والإعزاز ، التى يحسها الأخ نحو أخته .

قالت من خلال دموعها :

- قلت لك يومها إننى لن أتوقف عن حبك أبدا .. أية فتاة لن تستطيع أن تحبك كما أحبك أنا .

(صلاح) :

- ربما .. ولكن المهم أن يكون الحب متبادلًا من الطرفين .

(نهى) :

ـ أى شىء يمكن أن تقدمه لك هذه الفتاة ، يفوق إحساسى ومشاعرى نحوك .

(صلاح) :

ـ الأمر ليس مسألة أخذ وعطاء .. إنها أمور يحسمها القلب ، وليس لأحد منا سلطان على قلبه .

(نهى) :

ـ وقلبى أنا ؟ .. ألم تفكر فيه لحظة واحدة ؟ .. إننى لم أحب ولن أحب أحدًا سواك ، فكيف تعتقد ، وكيف يهون عليك بهذه السهولة أن تحرمنى منك ؟

(صلاح) :

ـ لو كنت مكانك لتساميت بمشاعرى الكبيرة هذه ، وتمنيت لك السعادة مع الشخص الذى أحببته ، فالحب ليس أنانية .. إنه أسمى من ذلك بكثير .

قالت ، وقد تحجرت العبرات فى عينيها :

ـ لا يا (صلاح) .. كن منصفا ، ولا تحاول ادعاء المثالية .. لو كنت مكانى لاكتويت الآن بالنار التى أكتوى بها ، ولما سمحت لشخص آخر أن يأخذ منك الإنسان الذى أحببته أبدا .

قال (صلاح) ، بعد أن أطلق زفرة قصيرة :

ـ يبدو أنه لا جدوى من المناقشة معك الآن .. سأدعو الله أن ينزل سكينته على قلبك ونفسك .

ثم استعد لمغادرة الحجرة ، ولكنها هجمت عليه كالنمرة الثائرة ، لتمسك بتلابيبه ، وهى تصرخ قائلة :

ـ لا يا (صلاح) .. لن أسمح لأى إنسانة أخرى بأن تأخذك منى .

حاول أن يبعد يدها عن سترته ، ولكنها تشبثت بها فى إصرار ، وهى مستمرة فى الصراخ ، مرددة فى هستيريا :

ـ لن تكون لغيرى .

استمر (صلاح) فى محاولته ، قائلا :

ـ (نهى) .. ابعدى يديك عن سترتى .. ستمزقينها .

ولكنها بدت فى حالة غير طبيعية ، وكأنها لا ترى ولا تسمع ، ولم يجد (صلاح) بدا من أن يدفعها عنه بقوة ، بعد أن جذب يديها عن سترته التى تمزقت ، وجاءت دفعته من العنف ، بحيث فقدت (نهى) توازنها ، لتهوى على الأرض ، وقد اصطدم رأسها بحافة السرير صدمة قوية قبل سقوطها ، وأحس (صلاح) بالفزع ، وهو يراها على الأرض ممددة دون حراك ..

بالفزع الهائل .

* * *

١٠ ـ اغفرى لى ..

قال الطبيب بعد أن انتهى من فحص (نهى) :

ـ أعتقد أنها بحاجة لطبيب متخصص فى أمراض العيون ، فمن الواضح أنها قد فقدت القدرة على الإبصار .

نزل الخبر على (صلاح) أشبه بالصاعقة ، فأغمض عينيه ليخفى تأثره البالغ ، وقال له الطبيب مشجعا :

ـ تجلّد .. وأنصح بسرعة إحضار أخصائى ، فما يزال الأمل قائما .

وانخرطت الأم فى بكاء شديد ، وهى تجلس إلى جوار (نهى) على الفراش ، فى حين بدا وجه الفتاة جامدًا ، كما لو كان قد صُبَّ فى قالب من الشمع ، وهم (صلاح) بمغادرة الحجرة ، للاتصال بطبيب متخصص فى أمراض العيون ، ولكنه سمعها قبل أن يفتح الباب تقول :

ـ الدكتور (مراد) .

اقترب (صلاح) منها ، دون أن يقوى على التحدث إليها ، فقد أعجزه إحساسه بالذنب عن أن يقول شيئا ، وأحست بأنفاسه قريبة منها ، فعادت تقول :

ـ لا أريد لأحد أن يفحصنى سوى الدكتور (مراد فهمى) .

قالت الأم بصوت خافت :

ـ إنه صديق المرحوم والدها ، وسبق له معالجة المرحومة أختى من مرض مزمن أصاب عينيها .

سألها (صلاح) :

ـ وهل هو فى (القاهرة) ؟

أجابته الأم :

ـ نعم .. عيادته فى (القاهـرة) وليست فى (الإسكندرية) ، ومعى عنوانه .

وانحنى (صلاح) على وجه (نهى) ، قائلا بهمس :

ـ سأحضر لك ما تشائين من الأطباء المتخصصين ، وإذا اقتضى الأمر سأعالجك بالخارج ، وستشفين يا (نهى) .. أعدك أننى لن أدخر جهدا فى سبيل رد بصرك إليك .

قالت (نهى) بنفس الصوت والوجه المتحجر :

ـ وأنا لن أقبل أن يفحص أحد عينى ، سوى الدكتور (مراد) .

نهض (صلاح) قائلا :

ـ سأتصل به فورا .

ثم عاد يجثو إلى جوارها ، وتناول يدها بين يديه ، وهو يقول بصوت حزين :

ـ سامحينى يا (نهى) .. لم أكن أقصد ذلك أبدا .

ولكنها جذبت يدها من بين يديه فى شدة ، قائلة :

ـ لن أسامحك أبدًا .. ليس من أجل عينىَّ ، ولكن من أجل قلبى الذى حطمته .. لن أسامحك أبدا .

* * *

أعاد الدكتور (مراد) فحص عينى (نهى) بدقة ، من خلال أجهزة الكشف الدقيقة الموجودة لديه فى العيادة ، وعلى وجهه علامات الحيرة ، قائلا :

ـ لا أدرى ما سر إصرارك على أن الرؤية بالنسبة لك منعدمة تماما .. إننى أستطيع أن أقطع بأنك لم تفقدى بصرك تمامًا .. ربما حدث هذا فى بداية تعرضك للإصابة ، وهذا أمر طبيعى ، وفقًا لخبرتى الطبية ، أما الآن فمجال الرؤية لديك لم ينعدم بصفة مطلقة ، وإن كان لا يتجاوز العشرين فى المائة ، بالنسبة للرؤية الطبيعية .

(نهى) :

ـ ولكنى لا أرى .

الدكتور (مراد) :

وأنا لا أجد تفسيرًا لذلك .. فى هذه الحالة سأضطر لعمل

كشف جماعى ، بمساعدة بعض زملائى ، للنظر فى حالتك هذه .

قالت الفتاة بإصرار :

ـ لا داعى لذلك .. دكتور (مراد) هل تعتقد حقًا أننى سأستعيد بصرى بالكامل ، خلال الأيام القادمة ؟

قال لها :

ـ بحكم خبرتى .. أستطيع أن أؤكد أن ذلك سيحدث خلال أسبوع أو عشرة أيام على الأكثر ، بعدها سترين الأشياء بصورة طبيعية تماما ، فارتطامك بحافة الفراش جعلك تصابين بما نطلق عليه نحن العمى المؤقت ، وهو يحدث نتيجة تعرض حاسة الإبصار فى المخ لإحدى الصدمات ، دون إصابة العين إصابة مباشرة ، ومع مرور الوقت تستعيد العين إبصارها الطبيعى ، لذا فإن ما يحيرنى أن تقولى : إنك عاجزة عن الرؤية تمامًا ، حتى هذه اللحظة ، إذ أن هذا يخالف خبرتى ونتيجة الفحص .

قالت بصوت هامس :

ـ سأعترف لك بالحقيقة يا عمى .

ثم استدركت قائلة فى استعطاف :

ـ هل تسمح لى أن أقول لك يا عمى ؟

قال موافقًا :

ـ بالطبع يابنيتى ؛ فوالدك كان أعز وأخلص صديق بالنسبة لى ، وأنت فى حكم ابنتى .

قالت (نهى) :

ـ تشخيصك سليم تماما ، فأنا أرى ، وإن كانت الأشياء تبدو أمامى مهتزة وغير واضحة .

الدكتور (مراد) :

ـ الحمد لله ، ولكن لماذا ادعيت عكس ذلك ؟

(نهى) :

ـ لأننى أريد أن أبقى بالنسبة للجميع عمياء .

نظر إليها الدكتور (مراد) فى دهشة ، قائلا :

ـ ماذا تقولين ؟

(نهى) :

ـ أريدهم أن يعرفوا أننى فقدت بصرى تماما ، دون أن تخبرهم بمسألة العمى المؤقت هذه .

الدكتور (مراد) :

ـ ولكن لماذا ؟

(نهى) :

ـ عمى الدكتور (مراد) .. قلت لى : إننى بمثابة ابنة لك ، وأنت لم تنكر إخلاص والدى لصداقتك ، وأفضاله بالنسبة لك .. إننى بحاجة ماسة لهذا الادعاء ، على الأقل فى الوقت الحاضر .

الكدتور (مراد) :

ـ وأنا مازلت أتساءل .. لماذا ؟

(نهى) :

ـ ليتك تعفينى من الجواب .

الدكتور (مراد) :

ـ لا أستطيع أن أخالف شرف المهنة ، بادعاء شىء غير حقيقى .

(نهى) :

ـ إنك لن تخالف شرفك المهنى ، فما تقوله لن يلحق الأذى بأحد ، ولكنه سينتشلنى من شقاء أبدى ينتظرنى ، ويحقق لى حلما طالما تمنيته .

وتأملها الدكتور (مراد) ، متسائلا :

ـ (نهى) .. ماذا بك يابنيتى؟.. إننى لا أستطيع أن أفهمك .

(نهى) :

ـ سأروى لك كل شىء باعتبارك فى مقام أبى ، وأرجو أن تستمع إلىّ بهذه الصفة ، لا بصفتك طبيبًا ، كما أرجو أن تلبى لى مطلبى ، وتساعدنى على تحقيق أمل عشت من أجله .

وروت له (نهى) كل شىء ، عن حبها العميق

لـ (صلاح) ، وعن أملها فى أن يكون إحساسه بالذنب لما
اقترفه فى حقها ، ولمعرفته بفقدها لبصرها على يديه ،
سببا لارتباطه بها ، دون أن تخبره بأمر الفتاة الأخرى ،
ورغبته فى الارتباط بـ (إلهام) .

وما أن انتهت من شرح الأمر ، حتى قال لها الدكتور
(مراد) :

ـ إذن تريدين منى أن أشاركك فى خداع ابن خالتك ..
آسف يا بنيتى لن أوافق على هذا .

وتشبثت بذراعه ، قائلة :

ـ لماذا تسميه خداعا ؟ .. سأستعيد بصرى كما قلت ..
أليس كذلك ؟ .. إذن فأنت لن تدفعه للزواج من فتاة
محكوم عليها بالعمى ، ما تبقى لها من العمر ..

الدكتور (مراد) :

ـ أنت تريدين أن أستغل إحساسه بالذنب نحوك ، لدفعه
إلى الزواج منك ، وهذا نوع من الغش والخداع ، ثم كيف
تقبلين أن ترتبطى برجل لا يحمل لك سوى الشفقة وعذاب
الضمير ؟ .. أين كرامتك ، بالنسبة لزواج كهذا ؟

(نهى) :

ـ عمى .. (صلاح) يحبنى .. أؤكد لك أنه يحبنى فى
أعماقه ، وإن كان هذا غير واضح بالنسبة له .. إنه
بحاجة إلى أن أكون أكثر قربا منه ، حتى يكشف هذه

الحقيقة فى نفسه .. إننى أعرف (صلاح) جيدا .. أعرفه
أكثر من أى مخلوق آخر .. وأعرف أن هذه هى الحقيقة ..
ثم كيف تقول إننى أسعى لاستغلال مشاعره ، وقد رويت
لك مقدار حبى له .. هل توجد فى الدنيا فتاة يمكن أن تحبه
وتسعده ، كما أحبه أنا وأسعى لإسعاده ؟ .. إننى مستعدة
لأن أتغاضى عن كرامتى الآن بعض الشىء .. ولكننى واثقة
من أن شفقته ستنقلب إلى حب فى النهاية ، أو بمعنى أدق
ستكشف عن هذا الحب الكبير ، الذى يحمله كل منا للآخر ،
وبعدها عندما أخبره بالحقيقة ، سيغفر لى كل شىء .. إننى
واثقة من ذلك .

هز رأسه دون اقتناع ، قائلا :

ـ لا أستطيع أن أوافقك على ذلك .

أحنت (نهى) رأسها لتقبل يده ، قائلة :

ـ أرجوك يا عمى .. أتوسل إليك .

سحب الدكتور (مراد) يده سريعا ، قائلا :

ـ (نهى) ماذا تفعلين ؟ .. إننى لا أستطيع ..
لا أستطيع ..

قالت (نهى) من خلال توسلاتها :

ـ قد أنتحر ، إذا لم تفعل ذلك .

نظر إليها فى ذهول ، قائلا :

ـ إلى هذه الدرجة .. أى تفكير هذا الذى أصاب مخك ؟!

★ ★ ★

خرج الدكتور (مراد) من حجرة الكشف ، ليستقبله (صلاح) فى لهفة وقلق ، قائلًا :

ـ خير يادكتور .. لقد تأخرت كثيرًا فى الكشف على (نهى) .

قال الدكتور (مراد) :

ـ لا أخفى عليك يابنى .. الإصابة التى لحقت بها خطيرة ، ولكنها تتأرجح ما بين العمى الدائم أو المؤقت .

نظر إليه (صلاح) فى قلق ، قائلًا :

ـ لا أفهم .

الدكتور (مراد) :

ـ لقد أصيبت (نهى) بصدمة فى مركز الإبصار بالمخ ، وقد تكون بحاجة إلى وقت طويل ، حتى يمكنها استعادة قدرتها على الابصار مرة أخرى .

همس له (صلاح) قائلًا :

ـ أى أنه هناك أمل فى أن ترى مرة أخرى .

الدكتور (مراد) :

ـ هذا جائز فى بعض الحالات ، ولكن فى بعض الحالات الأخرى قد لا يستعيد المرء قدرته على الإبصار .. لا أستطيع أن أعطى لك رأيًا قاطعًا فى مثل هذا الأمر .

(صلاح) :

ـ ألا يفيد التدخل الجراحى فى علاج حالة كهذه .

الدكتور (مراد) :

ـ كلا .. التدخل الجراحى فى حالة كحالة (نهى) .. خطير للغاية ، وقد يقضى فى حالة فشله ، على أى أمل فى استعادتها القدرة على الابصار .

(صلاح) :

ـ ما رأيك لو صحبتها للعلاج فى الخارج ؟

الدكتور (مراد) :

ـ لن يستطيع أحد فى الداخل أو الخارج تقديم شىء أكثر مما قلته لك .. الأمر سيحتاج لبعض الوقت ، والصبر ، والأمل ، وإذا لم نلحظ أى تحسن على حالتها ، خلال الأشهر الستة القادمة ، سأصحبها بنفسى إلى الخارج .

وهوى قلب (صلاح) ..

هوى ذبيحًا .

★ ★ ★

١١ - الحب الخانق ..

كانت جالسة فى الشرفة ، وقد أسندت رأسها إلى ظهر مقعدها ، يسيطر عليها سكون تام ، وراقبها (صلاح) من الردهة ، قائلًا لأمه :

- أمازالت جالسة فى الشرفة ؟

أجابته قائلة :

- منذ تركتها .. لقد حاولت أن أجعلها تتناول شيئًا من الطعام ، أو تتحدث معى فى أى شىء ، بدلًا من هذا الصمت الحزين الذى يغلفها ، ولكنها رفضت أى استجابة لى .. حاول أنت معها يابنى ؛ فقلبى يتمزق من أجلها .

دخل (صلاح) إلى الشرفة ، حيث كانت جالسة ، قائلًا :

- (نهى) .. لماذا لا تأتين إلى الداخل ؟

أجابته بصوت شارد ، قائلة :

- إننى أرغب فى الانفراد بنفسى .

(صلاح) :

- حسن .. ولكن على الأقل تناولى شيئًا من الطعام ،

فأنت لم تأكلى منذ الصباح .. ما رأيك ؟ .. سأعد لك الطعام بنفسى ، وأحضره لك فى الشرفة .. وسأضىء لك النور أولًا ، فالمكان أصبح مظلمًا هنا .

قالت بمرارة :

- لقد أصبح الأمر متساويًا بالنسبة لى ، فلم يعد هناك فارق بين النور والظلام ، لمن هى مثلى .

لم يقو على التحمل أكثر من هذا ، فجثا على ركبتيه إلى جوار مقعدها .. وقال :

- أرجوك يا (نهى) .. لا تعذبينى أكثر من ذلك .. أرجوك اغفرى لى .. أنت تعرفين أننى لم أقصد أن ألحق بك أى أذى .

(نهى) :

- لقد ألحقت بى الكثير من الأذى يا (صلاح) ، وقد كنت آخر من أتصور أن ينالنى أذى على يديه ، فقد خنت حبى الكبير لك أولًا ، ثم حرمتنى من البصر ثانيًا .

(صلاح) :

- لو تعرفين كم أنا نادم على ذلك ؟

قالت بسخرية :

- حقًا .

(صلاح) :

ـ ليتنى أستطيع أن أفعل أى شىء لكى أكفر عن ذنبى ، وأجعلك تسامحينني .

(نهى) :

ـ تستطيع يا (صلاح) .

(صلاح) :

ـ كيف ؟

(نهى) :

ـ تزوجنى .

بدا أن الكلمة قد فاجأته ، فردد قائلًا :

ـ أتزوجك ؟!

(نهى) :

ـ نعم .. فى هذه الحالة فقط قد يمكننى أن أسامحك .

صمت (صلاح) قليلًا ، ثم قال :

ـ حسن يا (نهى) .. سأتزوجك .. سأفعل هذا إذا كنت تريدينه .

(نهى) :

ـ شفقة بى .. ولتخفيف الوطء على ضميرك .. أليس كذلك ؟

(صلاح) :

ـ أنت تعرفين أننى لا أكرهك .. بل إن لك تقديرًا كبيرًا

فى نفسى ، ولكن إذا كنت سأتزوجك ، فلن أستطيع ان أخدعك وأقول لك إن هذا بدافع الحب ، وعليك أن تدركى ذلك ، حتى لا تتهميننى بالقسوة والخداع ذات يوم .

تناولت رأسه بين ذراعيها ، قائلة :

ـ ستحبنى يا (صلاح) .. ستحبنى ذات يوم بقدر ما أحببتك .. ستقرب الأيام المشاعر بيننا ، ووقتها لن أهتم كثيرًا إذا كنت مبصرة أو عمياء .. سيكفينى حبك ، ووجودك إلى جانبى .

دفن صلاح رأسه بين ذراعيها ، وقد أحس بأنه دفن حبه وقلبه أيضًا ، باستسلامه لرغبة (نهى) فى الزواج منه ..

دفنه إلى الأبد ..

★ ★ ★

استيقظ (صلاح) من نومه ؛ فى اليوم التالى لزواجه من (نهى) ، حيث وجدها وقد أعدت الإفطار له ، فهتف قائلًا فى دهشة :

ـ ما هذا ؟ كيف أمكنك أن تعدى الطعام بنفسك على هذا النحو ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لقد دربت نفسى على عمل أشياء كثيرة ، دون الاعتماد على عينىّ ، ثم إن الأكل كان معدًا تقريبًا .

جلس (صلاح) فى المقعد المواجه لها على المائدة ، ولكنها نادته قائلة :

- تعال هنا .. إلى جوارى .

أطاعها (صلاح) ، فجلس على المقعد المجاور ، حيث أخذ يلوك قطعة من الطعام فى فمه ، دون أن يقوى على بلعها ، وأخيرًا اكتفى بتحريك الأطباق الموضوعة أمامه ، دون أن يتناول شيئًا .

قالت له(نهى) ، وقد توقفت عن تناول الافطار بدورها :

- (صلاح) .. إنك لا تأكل شيئًا .

(صلاح) :

- بل أفعل .

ارتسمت ملامح الأسى على وجهها ، وهى تقول :

- (صلاح) .. لا تفعل ذلك مرة أخرى .

قال بدهشة :

- ماذا فعلت ؟

(نهى) :

- لا تكذب علىّ .. لا تستغل عجزى فى الكذب علىّ ، فلدى من الاحساس ما يغنينى عن الاعتماد على نعمة النظر ، التى حرمت منها .

(صلاح) :

- آسف يا (نهى) .. ولكن حقيقة ليست لدى أية شهية لتناول أى شىء .

(نهى) :

- إنك نادم على الزواج منى .

(صلاح) :

- أبدًا يا حبيبتى .. لا تفكرى فى ذلك .

أغمضت (نهى) عينيها ، قائلة فى صوت حالم :

- حبيبتى .. يا لها من كلمة ! .. خاصة عندما أسمعها منك ، وكم تمنيت أن تُسمعنى هذه الكلمة ذات يوم ، حتى لو كانت غير حقيقية .

نهض (صلاح) من مقعده ، قائلًا :

- معذرة .. سأبدل ثيابى .

ولكنها أمسكت ساعده ، قائلة :

- تأكد يا (صلاح) أنك لن تندم على زواجك منى .. ربما تشعر الآن أننى استغللت ما لحقنى من أذى على يديك ، لاجبارك على الزواج منى ، ولكن صدقنى .. أنا لم أفعل ذلك إلا لأننى أحبك .. أحببتك قبل أن أفقد بصرى ، وأحببتك بعد أن فقدت بصرى على يديك .. لقد ظللت أحبك دائمًا .. ولم أقو على كرهك أبدًا .

قال (صلاح) بضيق :

- (نهى) .. لماذا تحاولين تذكيرى دائمًا بمسئوليتى عما أصابك ؟ .. لماذا ترغبين فى إشعارى كل لحظة بالذنب نحوك ؟

نهضت (نهى) من مقعدها ، لتتعلق بذراعه قائلة :

- إننى لم أقصد هذا مطلقًا يا حبيبى .. لقد أردت فقط أن أعبر لك عن حبى .. يجب أن تعرف أننى غفرت لك كل شىء .

(صلاح) :

- إذا كان هذا صحيحًا ، فأرجوك توقفى عن تذكيرى من آن لآخر بإننى تسببت فى فقدك لبصرك .. أرجوك .

★ ★ ★

فتح (صلاح) باب الشقة ، ليجدها جالسة على المقعد المجاور ، وقد تجهمت ملامحها ، قائلة :

- أين كنت ؟

(صلاح) :

- لقد أخبرتك أننى ذاهب لزيارة صديق مريض .

قالت بصوت غاضب :

- كل هذا الوقت .

(صلاح) :

- هل سنعود إلى الغيرة والشجار مرة أخرى ؟

(نهى) .. لقد مرّ أسبوع واحد فقط على زواجنا ، فلا داعى لأن نتشاجر كلما ابتعدت عنك ساعة أو ساعتين .

(نهى) :

- ساعة أو ساعتين ؟! .. لقد غادرت المنزل فى السادسة مساء ، ومنذ قليل سمعت الساعة تدق الواحدة بعد منتصف الليل .. وهل سمعت عن رجل يتأخر عن منزله إلى ما بعد الواحدة صباحًا ، بعد أسبوع واحد من الزواج .

زفر (صلاح) بضيق ، قائلًا :

- لقد اضطرتنى الظروف لهذا .. الرجل فى حالة صحية متأخرة ، وكان بحاجة ماسة لوجودى إلى جواره .

(نهى) :

- حسن .. انتهى الأمر .. هل أحضر لك العشاء ؟

(صلاح) :

- سأعده بنفسى .

جلست (نهى) إلى جواره على المائدة ، قائلة وقد تبدّل صوتها :

- لا تغضب منى يا (صلاح) .. اعذرنى ، فأنا لا أطيق ابتعادك عنى .

(صلاح) :

- يجب أن تكونى مستعدة لهذا يا (نهى) ، فأنا مسافر غدًا إلى (الإسكندرية) .

أحسَّت برجفة ، وسقطت على أثرها الملعقة منها على المائدة ، وهى تقول :

- مسافر ؟!

(صلاح) :

- نعم .. هل نسيت أن عملى هناك ؟ .. لقد انتهت الاجازة التى طلبتها بالتليفون ، لأكون إلى جوارك ، ويجب أن أعود لمقر عملى .

(نهى) :

- ولكن ماذا سأفعل أنا بدونك ؟

(صلاح) :

- كما كنت تفعلين من قبل .. ستبقين مع خالتك حتى أدبر الأمر ، وأبحث لنا عن شقة مناسبة فى (الإسكندرية) .. وطبعًا سأتردد عليك أسبوعيًا ، فى الاجازة الأسبوعية .

(نهى) :

- لم أعد واثقة من قدرتى على تحمل ابتعادك عنى ستة أيام كاملة أسبوعيًا .

(صلاح) :

- سأتصل بك تليفونيًا .

(نهى) :

- هذا لا يكفى .

(صلاح) :

- إذن .. ماذا تريدين ؟

(نهى) :

- أسافر معك إلى (الإسكندرية) .

(صلاح) :

تسافرين معى ؟ وأين نقيم هناك ؟

(نهى) :

- فى شقة مفروشة ، حتى يمكننا تدبير شقة مناسبة .. أنا أعرف عددًا من أصحاب الشقق المفروشة فى (الإسكندرية) ، ويمكن لأحدهم تدبير شقة لنا لنقيم فيها معًا ، ولا تحمل همًا بالنسبة للنقود ، فمعى مبلغ مناسب ، تركته لى أمى ...

قاطعها (صلاح) باحتجاج :

- ما هذه السخافات .. ما الذى يدعونا إلى الاقامة فى شقة مفروشة ؟ .. ولماذا لا ننتظر حتى نجد الشقة المناسبة ؟

(نهى) :

ـ لأننى أحبك ، ولا أطيق الابتعاد عنك .. ألا يكفى هذا ؟
(صلاح) :
ـ (نهى) .. لا أرى وجهًا للتعجل .. فسوف أبادر فور وصولى إلى (الإسكندرية) بالبحث عن شقة ، وإعداد الأثاث اللازم لها ، ثم آخذك معى بعدها إلى هناك .
(نهى) :
ـ متى ؟ .. بعد سنة أو سنتين ؟ .. هل تعتقد أن العثور على شقة مناسبة سيتم بمثل هذه السهولة ؟ .. وإلى أن تنتهى من إعداد الأثاث ؟ يا لها من حجة رائعة للتخلص منى .. نعم ما حاجتك إلى زوجة عمياء ؟
صاح فيها :
ـ (نهى) ..
(نهى) :
ـ من الأفضل لك أن تكون بحريتك فى (الإسكندرية) ، حتى تتفرغ للقاء حبيبة القلب ، التى تركتها هناك .
ازداد انفعال (صلاح) ، قائلًا :
ـ توقفى عن هذا الحديث .
انخرطت (نهى) فى البكاء ، قائلة :
ـ معك حق .. فأنا التى فرضت نفسى عليك .. فرضت عليك زوجة عمياء لا تحبها ، ولا تطيق رؤيتها .

استمالت هذه الكلمات مشاعر (صلاح) ، فاقترب منها قائلًا باستسلام :
ـ حسن .. ستسافرين معى غدا إلى (الإسكندرية) .. ستسافرين يا (نهى) .

* * *



١٢ ـ الخـــديعة ..

كان (صلاح) مستغرقًا فى مراجعة بعض الأوراق الموضوعة فوق مكتبه ، عندما دخل عليه أحد زملائه ، قائلًا :

ـ (صلاح) .. الآنسة تريد مقابلتك .

رفع (صلاح) عينيه عن الأوراق ، ليراها واقفة أمام باب حجرته ، وهتف :

ـ (إلهام) !!

غادر زميله الحجرة ليتركهما بمفردهما ، حيث اقتربت من مكتبه ، قائلة :

ـ (صلاح) .. كيف حالك ؟

نهض واقفًا فى ارتباك ، قائلًا :

ـ أهلًا (إلهام) .

(إلهام) :

ـ لقد حضرت من قبل للسؤال عنك ، ولكنهم أخبرونى أنك لم تحضر بعد من (القاهرة) ، وأنك أرسلت فى طلب إجازة لمدة أسبوع .

(صلاح) :

ـ نعم .. كانت هناك بعض الظروف .

قالت بتحرج :

ـ هذه الظروف منعتك حتى من الاتصال بى تليفونيًا .. لقد أعطيتك رقم التليفون ، قبل أن تغادر (الإسكندرية) ، لكى نكون على اتصال دائم .. أليس كذلك ؟

أطلق زفرة قصيرة ، وهو لا يدرى بم يجيبها ، وسألته قائلة :

ـ (صلاح) .. ماذا بك ؟

(صلاح) :

ـ لا .. لاشىء .

(إلهام) :

ـ هل حضرت معك والدتك ؟

(صلاح) :

ـ لا .. لم تأت معى .

(إلهام) :

ـ ألم تخبرها بعد ؟ .. لقد أخبرت أبى أنك ستحضر مع والدتك لمقابلته .. وقد رحب بذلك .

(صلاح) :

ـ (إلهام) .. ما رأيك لو ذهبنا معًا إلى الشاطئ ؟

وفى المكان الذى جمع بينهما ، أخبرها (صلاح) بالحقيقة ، قائلا بصعوبة :

- (إلهام) .. لقد تزوجت .

نظرت إليه غير مصدقة ، وهى تقول :

- تزوجت ؟!

(صلاح) :

- نعم .. تزوجت (نهى) .

قالت (إلهام) ، بذهول :

- غير معقول .. إنك تكذب علىّ بلاشك .

(صلاح) :

- بل هذه هى الحقيقة .

(إلهام) :

- ولكن .. كيف ؟ .. وحبنا .. والاتفاق الذى اتفقنا عليه معا قبل رحيلك !

(صلاح) :

- لقد اكتشفت أننى لا أستطيع التخلى عن (نهى) .

(إلهام) :

- أيمكن أن تكون قد فعلت هذا ، خوفا من وطأة الاحساس بالذنب نحوها ؟

كذب قائلا :

- لا .. لم أفعل ذلك لأى إحساس بالذنب .. كل ما هنالك أننى عندما عدت .. كشفت أننى أحب (نهى) أكثر من أى إنسانة أخرى ، ولا يمكننى الاستغناء عنها .

(إلهام) :

- وتلك المشاعر القوية التى كنت تبثها لى ؟ .. وكلماتك عن الحب الكبير الذى ربط بين قلبينا ، وعن رغبتك فى الزواج منى ؟! .. هل كنت تخدعنى طوال الوقت ؟

(صلاح) :

- لا أنكر أننى شعرت نحوك بعاطفة قوية ، خلال الأيام الماضية ، ولكنى كشفت ، كما قلت لك ، أن حبى لـ (نهى) أقوى وأعمق .

(إلهام) :

- كيف يمكنك أن تخدع وتتلاعب بالألفاظ على هذا النحو ؟ .. لقد كلت تقول لى منذ عدة أيام : إن مشاعرك نحوها لا تتجاوز مشاعر الأخ نحو أخته .

قال (صلاح) ، وهو يتعمد ألا ينظر إليها ، حتى لا يضعف :

- كنت مخطئا .

(إلهام) :

- بل كنت تعبث بمشاعرى ، وتحاول تسلية وقتك .. أليس كذلك ؟

ولم يجبها (صلاح) ، بل أخذ يحدق فى الأمواج المتلاطمة أمامه ، دون أن ينطق بكلمة .

وصاحت (إلهام) قائلة ، بانفعال :

- تكلم .. قل أى شىء .. قل : إن هذه هى الحقيقة .. وإننى لم أكن بالنسبة لك سوى وسيلة للتسلية وإضاعة الوقت ، وإنك لم تحبنى أبدا .

أجابها (صلاح) ببرود ، قائلا :

- على كل حال ، الحمد لله أن الأمور لم تتطور بيننا إلى أكثر من هذا الحد .. لقد كانت علاقتنا قصيرة نسبيًا .

قالت له (إلهام) بأسى :

- ولكنها كانت زاخرة بالمشاعر ومعانى الحب الرائعة .. المشاعر الزائفة .. والحب الوهمى .

استمر (صلاح) فى بروده ، قائلا وهو يحاول السيطرة على مشاعره :

- يمكنك أن تعتبريها سحابة صيف ومرت . فهناك الكثير من قصص الحب العابرة ، التى دفنها أصحابها فى الرمال ، قبل أن يعودوا من المصيف .

قالت (إلهام) ، وهى تمسح دمعة سقطت على

وجنتها ، بعد أن استوعبت أخيرا الحقيقة المرة ، التى زلزلت كيانها :

- معك حق .. سأعمل على أن أستفيد من هذه التجربة .. تجربة التعامل مع شخص مخادع ، يتلاعب بمشاعر الآخرين ، إنها تجربتى الأولى ، ولكننى سأستفيد منها ، ولن يكون الأمر فى النهاية سوى سحابة صيف كما قلت ، أما عن الحب الذى ظننته بيننا ذات يوم ، فقد دفنته منذ هذه اللحظة فى الرمال .

واندفعت تركض مبتعدة عنه ، فى حين أخذ هو ينظر إليها فى أسى ، قائلا :

- سامحينى يا حبيبتى .. سامحينى .. فقد فعلت هذا من أجلك أردت منك أن تكرهينى ، وتبدئى حياتك مع شخص آخر .. شخص لا يكون مقيدا بأغلال ذنب يشده إلى أخرى ، ولكن حبى لك سيبقى محفورا دائما فى قلبى .. القلب الذى أحبك ولن يحب سواك أبدا .. أبدا .

* * *

مرت الأيام ثقيلة ، قاتمة ، ما بين مرارة ضياع حبه الوحيد ، واختناقه بحب (نهى) ، الذى تحول مع الأيام إلى غيرة مرضية ، وحساب يومى دائم ، عن كل تصرفاته وأفعاله ومشاعره تجاهها ، وعلى الرغم من أن (صلاح)

كان يعاملها بكل ود وحنان ، ويبذل أقصى جهده لإرضائها ، إلا أنها ظلت دائما تحاسبه على أحاسيسه وتطالبه بمشاعر كان يعجز عن التظاهر بها طوال الوقت ، وظل (صلاح) يلح عليها بعرض نفسها على عدد من أطباء العيون الآخرين ، ممن نالوا نصيبا عظيمًا من الشهرة ، لعل أحدهم يقترح علاجًا فعالًا لعينيها ، ولكنها ظلت ترفض بإصرار غريب أثار دهشته ، وتردد أنها لن تذهب لأى طبيب آخر ، بعد الدكتور (مراد) ، حتى عندما عرض عليها الذهاب معه إلى واحد من أكبر أطباء العيون الفرنسيين ، فى أثناء زيارته لأحد المستشفيات فى (الإسكندرية) ، تمسكت بالرفض دون إبداء سبب واضح .

وذات يوم عاد (صلاح) إلى الشقة التى استأجرها ، بعد أن انصرف مبكرًا من عمله ، وبحث عن زوجته ، فوجدها فى الحمام ، ودخل إلى حجرته ليبدل ثيابه ، وقد أنهكه التعب ، إذ اضطر إلى إنجاز الكثير من العمل فى هذا اليوم ، وبينما هو يبدل ثيابه ، استرعى اهتمامه وجود أحد الكتب الدراسية لزوجته فوق (الكومودينو) المجاور للسرير ، فتناول الكتاب ليجد علامة موضوعة على الصفحة المفتوحة فى الكتاب ، كما استلفت نظره وجود عدة خطوط بالقلم الجاف تحت بعض السطور بشكل

واضح ، وفى تلك اللحظة دخلت (نهى) إلى الحجرة ، حيث وجدته ينظر فى صفحات الكتاب ، فاعتراها ارتباك واضح ، وهى تقول :

ـ (صلاح) .. لقد عدت مبكرًا من العمل ؟

نظر إليها صلاح بدهشة ، قائلًا :

ـ وكيف عرفت أننى عدت من عملى ؟

ازداد ارتباكها ، وهى تقول :

ـ لقد سمعتك تفتح باب الشقة .

(صلاح) :

ـ شىء غريب ، فلقد ظننت أن المياه المتدفقة من الدش تحدث صوتًا عاليا ، يغطى أى صوت آخر بالخارج ، كما أنك لم تحاولى أن تنادينى .

تمالكت (نهى) نفسها ، قائلة :

ـ إذا كنت قد فقدت بصرى ، فلدى حاسة سمع قوية ، مازالت باقية .

سألها (صلاح) :

ـ هل أنت التى وضعت تلك الخطوط بالقلم أسفل السطور ؟

اقتربت (نهى) قائلة :

ـ كتاب ؟ .. أى كتاب ؟!

ثم تظاهرت بالتذكر قائلة :

ـ آه .. لقد كنت أنقب بين كتبى الدراسية ، كنوع من التسلية ، وقد وقع هذا الكتاب بين يدى بالمصادفة .. لابد أن تلك الخطوط التى رأيتها قد سطرت .. قبل .. قبل أن أفقد بصرى .

لم يقتنع (صلاح) بهذا التبرير .. ففضلًا عن أن القلم كان مفتوحًا ، وموجودًا إلى جوار الكتاب ، مما يدل على أنها استخدمته منذ قليل ، فارتباكها الواضح وتنبهها لوجوده داخل الغرفة قوّى من الشك بداخله ..

أصبح هرمًا من الشك ..

★ ★ ★

استقبل الدكتور (مراد) (صلاح) فى عيادته ، حيث بادره هذا الأخير قائلًا :

ـ دكتور (مراد) .. أريد أن أعرف الحقيقة بشأن ما أصاب عينى (نهى) .

الدكتور (مراد) :

ـ لقد قلت لك : إنها بحاجة لبعض الوقت ، حتى يمكننا أن نحكم على حالتها جيدًا .

(صلاح) :

ـ إننى أشك فى تشخيصك ، ويزداد ارتيابى هذا

لإصرار زوجتى على ألا تلجأ لطبيب آخر سواك .. قل لى الحقيقة ، وإلا عرفتها بنفسى ، وعرضتها على القومسيون العام لفحص عينيها .

تهالك الطبيب فوق مقعده ، قائلًا :

ـ سأقول لك الحقيقة .. فأنا نفسى كنت غير راض عن موافقتى لها على هذا الأمر ، ومنذ شاركتها هذا ، وأنا أشعر بتأنيب الضمير ، وبأننى ارتكبت مخالفة جسيمة ، فى حق شرفى المهنى .

وروى له الدكتور (مراد) كل شىء بشأن الاتفاق الذى عقده مع (نهى) ، وبأنها تعد الآن من الوجهة الطبية مبصرة تمامًا ، وظل (صلاح) يستمع له ذاهلًا ..

لقد عرف الآن فقط كيف استغلت (نهى) إحساسه بالذنب نحوها ، وتمكّنت من خداعه ..

لقد تمكّنت بخديعتها من إجباره على الزواج منها ، وإبعاده عن الإنسانة الوحيدة التى أحبها ..

وأحس بالغضب يكاد أن يعصف بكيانه .. وبقلبه .

★ ★ ★

١٣ ـ لن أدفن حبى ..

تعمد (صلاح) أن يتظاهر أمامها بسقوط خطاب مفتوح من جيب سترته ، فى أثناء تبديله ثيابه ، وانحنى ليلتقط الخطاب من على الأرض بشكل ظاهر ، حتى يثير فضولها ، وأعاد وضعه فى جيبه ، ثم وضع السترة فى الدولاب ، وتوجه إلى الحمام ، وانتظرت (نهى) حتى رأته يدخل الحمام ، وأنصتت لصوت المياه المتدفقة من (الدش) ، ثم أسرعت إلى الغرفة ، واستخرجت الخطاب من سترة (صلاح) ، لتقرأ ما فيه ..

وفى تلك اللحظة دخل عليها (صلاح) الحجرة فجأة ، ليراها وهى تقرأ ما جاء فى الخطاب ..

وتراجعت (نهى) بظهرها إلى الحائط ، وقد سقط منها الخطاب على الأرض ، وقد باغتها دخول (صلاح) ، الذى قال لها بصوت حاد كالموسى :

ـ صدق ظنى ، وانكشفت خدعتك .. لقد كنت تخدعيننى طوال الوقت.. تظاهرت بالعمى لتجبرينى على الزواج منك ، وتبعدينى عن الإنسانة التى أحببتها .. أية أنانية .. وأى شر هذا الذى تحملينه بين جوانحك ؟! .. كيف سمحت لنفسك أن تغشينى على هذا النحو ؟!

قالت (نهى) :

ـ (صلاح) .. لقد كنت أنوى أن أخبرك .

(صلاح :

ـ متى ؟ بعد أن تنالى بغيتك ، وتستثمرى إحساسى بالذنب نحوك حتى النهاية .. بعد أن تتأكدى من أننى ابتعدت عن الإنسانة التى أحببتها من أجلك .

بكت قائلة :

ـ (صلاح) .. لقد فعلت هذا لأنى أحبك ، ولا أريد أن أفقدك .

قال بحدة :

ـ بل فعلت هذا من أجل أنانيتك ، ورغبتك الشريرة فى الاستئثار بى ، ولو على حساب حياتى وقلبى ، ولا أدرى كيف تصورت أنك ستنجحين فى تمثيل هذا الدور المخادع حتى النهاية .

ازداد نحيبها ، وهى تمسك ذراعه متوسلة :

ـ (صلاح) .. أرجوك لا تظلمنى .

جذب ذراعه من يدها ، قائلًا :

ـ أنت التى ظلمتنى .. وظلمت نفسك ، وظلمت إنسانة أخرى بريئة لا ذنب لها .

قالت بصوت متشنج :

- هذه الإنسانة أرادت أن تأخذك منى ، ولم أكن لأسمح لها بهذا أبدًا .

قال (صلاح) بصوت حاسم :

- وأنا لن أكون لك بعد اليوم أبدًا .. أنت طالق .. طالق .. طالق .

صرخت (نهى) فى وجهه :

- لا .. لا يا (صلاح) .. لا تتركنى يا (صلاح) .. لا تدفعنى بعيدًا عنك بهذه القسوة .. إننى أحبك .. إننى مستعدة لأن أكفر عن خطئى على أى نحو ترضاه .. مستعدة أن أكون لك خادمة ، وأن أفعل أى شىء من أجلك .. ولكن لا تتركنى .

ولكن (صلاح) لم يستجب لتوسلاتها هذه المرة ، وإنما أسرع بمغادرة المنزل على الفور ..

وفى تلك البقعة من الشاطئ ، التى التقى فيها بـ (إلهام) لأول مرة ، ذهب (صلاح) لينفس عن همومه وأحزانه ، فقد أصبح المكان على الرغم مما يحمله له من مرارة الشعور بالفراق ، مصدر راحته ، وملجأه للهرب من همومه ..

ولم يصدق نفسه عندما رآها .

كانت واقفة تنظر إلى البحر ..

ربما جاءت مثله لتغسل فيه همومها ، وتجتر ذكرياتها معه .

واقترب منها هامسًا :

(إلهام) .

استدارت فى حدة لتنظر إليه ، وقد بدت آثار المفاجأة واضحة على وجهها ، ولكنها سرعان ما همت بمغادرة المكان ، وقد تغلبت على وقع المفاجأة ، واكتسى وجهها بقناع الجمود ، ولكن (صلاح) أمسك بساعدها ، قائلًا :

- أرجوك يا (إلهام) .. لا ترحلى .

قالت بصوت كأنه يأتى من بئر سحيقة :

- ماذا تريد منى ؟ .. لقد رحلت سحابة الصيف .. جئت أودعها قبل أن أرحل بدورى غدًا إلى (القاهرة) .

(صلاح) :

- قبل أن ترحلى .. أريد أن أروى لك كل شىء .. أريد أن تعرفى أننى لم أحب سواك ، وأننى أحوج ما أكون إليك ، وبعدها لك الحق فى أن تهجرينى ، أو تمدى لى يدك لنعيد ما بدأناه .

وروى لها (صلاح) كل شىء ، عن السبب الذى حال دون عودته إلى (الإسكندرية) هو ووالدته ، والتقدم للزواج منها ، وعن سبب زواجه من (نهى) ، والخدعة

التى استخدمتها لإتمام هذا الزواج ، وعن اضطراره للتعامل معها بقسوة ، دون أن يخبرها بالحقيقة ، حتى لا يدفعها ذلك إلى حرمان نفسها من السعادة ، وغلق أبواب قلبها أمام أى حب آخر ، كما فعل هو بنفسه ، ونظر إليها بعينين متوسلتين ، قائلًا :

- (إلهام) .. لقد تحملت خلال الفترة الماضية ما يكفى من العذاب والحرمان .. أنتِ الإنسانة الوحيدة التى أحبها قلبى .. وهذه المرة لا أريد أن أفقدك أبدًا .

مسحت (إلهام) بيدها وجنتيه ، قائلة :

- وأنا أيضًا لن أسمح لك بهذا يا (صلاح) .. لقد حاولت أن أدفن حبى لك فى الرمال ، فلم أستطع .. أتعرف لماذا ؟ لأنه ما يزال حيًا حتى هذه اللحظة فى قلبى .

ووسط هذه العاطفة الجياشة تنبهت (إلهام) فجأة ، قائلة :

- ولكن المهم أن تلحق الآن بـ (نهى) .

(صلاح) :

- لقد انتهى ما كان بينى وبينها .

(إلهام) :

- هذا غير صحيح يا (صلاح) .. إنها فى النهاية ابنة خالتك ، ومازلت مسئولًا عنها .. إنك لا تعرف ما الذى

يمكن أن تلحقه بنفسها ، وقد تركتها على هذه الحالة التى كانت عليها .

أحس (صلاح) بالقلق ، فلا يمكن التنبؤ بما يمكن أن تقدم (نهى) عليه من تصرف ، وقال :

- معك حق .. سأذهب إليها ، وأعمل على إعادتها إلى (القاهرة) ، ثم ألحق بك .

وقبل أن يغادر الشاطئ أمسكت (إلهام) بيده ، قائلة فى خوف :

- هذه المرة ستعود يا (صلاح) .

قبل يدها ، قائلًا :

- بعد اليوم لن يفرقنى عنك سوى الموت .

دخل (صلاح) إلى الشقة ، فوجد كل شىء محطمًا ، ووجد (نهى) فى حالة هستيرية ، وهى تلقى الأشياء على الأرض فى عنف ، وقد تشعث شعرها ، وأخذت تلهث بشدة .

اقترب منها قائلًا :

- (نهى) .. (نهى) أجيبينى .

ولكنها لم تجبه ، بل استمرت فى تحطيم الأشياء ، دونما إرادة واعية منها ، وتناول (صلاح) سماعة الهاتف ليتصل بالمصحة النفسية ، التى كانت تعالج فيها من قبل ، حيث طلب الطبيب قائلًا :

- دكتور (فوزى) .. أنا (صلاح) .. (نهى) فى حالة نفسية مضطربة للغاية .. إنها معى هنا فى (الإسكندرية). خذ العنوان ، وأرجو إرسال سيارة المصحة فورًا ، وبأسرع وقت .

وتمكّن (صلاح) بصعوبة من السيطرة على (نهى) ، وتقييد حركتها ، حيث حضرت سيارة المصحة بعد عدة ساعات لأخذ (نهى) .

وفى تلك اللحظة جاءت (إلهام) ، حيث قالت :

- لقد قلقت عليك ، فجئت للاطمئنان بنفسى .

ونظرت إلى (نهى) ، التى أخذت تصرخ فى أثناء اقتيادها إلى سيارة المصحة ، قائلة :

- (صلاح) .. لا تدعهم يأخذوننـــى يا (صلاح) .. (صلاح) لا تتخلَّ عنى .. لا تدعهم يبعدوننى عنك .

ونظرت إليها (إلهام) بأسى ، قائلة :

- يا لها من مسكينة !

قال (صلاح) ، وهو يتابع تحركات (إلهام) ، فى أثناء هبوطها لسلم المنزل :

- بمشيئة الله ستشفى ، ولن أتخلى عنها أبدًا .. سوف أظل دائمًا مسئولًا عنها ، وستبقى دائمًا فى رعايتى ، فمهما حدث هى فى النهاية ابنة خالتى ، وبمثابة أختى ،

وسيبقى لها دائمًا مكان فى قلبى .. سأقوم بواجبى تمامًا نحوها ، ولكن لن يكون هذا على حساب حبنا وقلبينا مرة أخرى .. لن أسمح لهذا أن يحدث أبدًا .

جاءت عبارته هذه فى اللحظة التى تحركت فيها السيارة ، متجهة إلى المصحة ، فى حين تشابكت أصابعه مع أصابع (إلهام) ، وهما يراقبان ابتعادها ، وكأنهما يصدقان على هذه الكلمات ..

كلمات الحب .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



ا . شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

رجل و قلبان

عاش (صلاح) تجربة قاسية ، أحسّ خلالها أنه موزّع بين قلبه وضميره .. بين إحساسه بالحب الذى عرفه لأول مرّة فى حياته ، وبين إحساسه بالمسئولية التى لازمته طوال سنوات عمره .. ترى أيهما يتعيّن عليه أن يختار فى النهاية؟.. إنها قصة رجل وقلبين ..



وما يعادله بالدو ... ن ... ول العربية والعالم